بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٥٧ ـ ربيع الأول ١٤٣٣هجرية قمرية

بهمن ١٣٩٠هجرية شمسية / فبراير (شباط) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتـوى

العدد ٥٧

الخطبة التاريخية للسيد القائد ٤

الذكرى الثالثة والثلاثون لانتصار الثورة الإسلامية في إيران ٢٢٠٠

آراء في أسباب التخلّف الحضاري ٢٦

إفرازات التخلف الحضاري..... ٣١

التقريب في القرن الماضي ٣٧

جهود التقريب والوحدة على الصعيد الفردي..... ٤٥

تقويم حالة الطائفية والتقريب في القرن الماضي ٥٣

وحدة الأمة في خطاب الشهيد مطهري..... ٥٨

السلفية الواعية..... ٦٩

النجف والتقريب..... ٨٢

من ذكريات التقريب..... ٩١

وثيقة تاريخية هامة..... ١٠٢

جمال الدين الحسيني ١١٢

ابن هاني الأندلسي ١١٦

الخطبة التاريخية

التي ألقاها سماحة السيد القائد

في صلاة الجمعة ١٤ ربيع الأول ١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

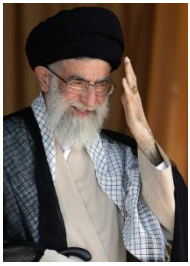

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يا أبناء أمتنا الإسلامية في كل مكان

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله

أغتنم فرصة شهرربيع الأول ، واقتراب أسبوع المولد النبوي، والذكرى الأولى لربيع الصحوة الإسلامية، ونهضة إخوتنا العرب رجالاً ونساءً من مصروتونس وليبيا حتى البحرين واليمن وبعض البقاع الإسلامية الأخرى، لأتقدم باسم الشعب الإيراني وجميع المسلمين في العالم بأحرّالتهاني وأطيب التبريك.

مرّعام مفعم بالحوادث، فلأول مرّة في تونس ومصر روعيت حرمة رأي الشعب، وأدلت الجماهيربصوتها للتيارالإسلامي.

وسيكون الأمرفي ليبيا على هذا النحو أيضًا. وهذا التوجه الإسلامي المتصف برفض الصهيونية والدكتاتورية، وبطلب الاستقلال والحرية والتقدم تحت راية القرآن، سيكون المسير

الحتمي والإرادة الحاسمة لجميع الشعوب الإسلامية. هذه الموجة التي فتحت صفحة جديدة في تاريخ إيران الإسلام أيضًا قبل ثلاثة عقود في مثل هذه الأيام (الثاني والعشرين من شهربهمن المصادف للحادي عشرمن شباط) وأنزلت أول ضربة بجبهة أمريكا والناتو والصهيونية، وأطاحت بأكبردكتاتورعلماني عميل في المنطقة.. أصبحت في الأيام نفسِها وبالطريقة ذاتِها وبالمطاليب عينها تعمّ الشرق الأوسط الإسلامي والعربي بأجمعه والحمد لله.

إنّ إرادة الله سبحانه شاءت لهذه الشعوب أن تستيقظ. فقد حلّ قرن الإسلام وعصرالشعوب، وسيكون له التأثيرعلى مصير كل البشرية. أما كان تدفّق الشباب والمثقفين في واشنطن ولندن ومدريد وروما وأثِنا بإلهام من ميدان التحرير؟!

لقد عمّت نهضة العودة إلى الإسلام واستعادة العزّة والهويّة والانعتاق أكثرمناطق العالم الإسلامي حساسيّة، وفي كل مكان يرتفع شعار«الله أكبر». الشعوب العربية لم تعد تتحمل الحاكم الدكتاتوروسيطرة العملاء والطواغيت. لقد ضاقت ذرعًا بما تعانيه من فقروتخلّف وتحقيروعمالة. وجرّبت العلمانية في ظل الاشتراكية والليبرالية والقومية، ورأت أنها جميعًا وصلت إلى طريق مسدود. الشعوب العربية طبعًا ترفض أيضًا التطرف والعنف الطائفي والعودة إلى الوراء، والنعرات المذهبية والسطحية الساذجة المغلَّفة بالإسلام.

[مسلمون معاصرون]

انتخابات تونس ومصروشعارات وتوجّهات الشعوب في اليمن والبحرين وسائرالبلدان العربية تدلّ بوضوح أنهم يريدون أن يكونوا مسلمين معاصرين دونما إفراط متعجرف أو تفريط متغرّب، وبشعار «الله أكبر» يريدون ضمن مشروع إسلامي وبالتأليف بين المعنوية والعدالة والتعقّل وبأسلوب السيادة الشعبية الدينية، أن يتحرّروا من قرن من التحقيروالاستبداد والتخلّف والاستعماروالفساد والفقر والتمييز. وهذا هو الطريق الصحيح.

[خصائص الأنظمة البائدة]

ما هي خصائص الأنظمة العربية التي تعرضت لغضب شعوبها؟

إنها معارضة التوجه الديني، والخضوع، والاستسلام والعمالة للغرب.. أي أمريكا وبريطانيا ونظائرهما، والتعاون مع الصهاينة وخيانة القضية الفلسطينية، والتسلط الدكتاتوري الأَسَري والوراثي، وفقرالعباد وتخلّف البلاد، إلى جانب الثروات الطائلة للعوائل الحاكمة، والتمييزوانعدام العدالة، وفقدان الحرية القانونية والمسائلة القانونية، كل هذه من الخصائص المشتركة لتلك الأنظمة.

حتى التظاهربالإسلام أوالجمهورية في بعض المواضع لم يستطع أن يخدع الجماهير. هذه أوضح العلامات لمعرفة طبيعة نهضة الشعوب العربية، سواء تلك التي حققت انتصارات كبيرة، أو التي ستحقق ذلك بإذن الله تعالى.

كل ادعاء آخر بشأن طبيعة هذه الثورات التي انطلقت بشعار «الله أكبر» إنما هو تجاهلٌ للواقع من أجل أهداف مبطّنة وبالتالي لدفع هذه الثورات نحو الانحراف.

هذه الأصول ستكون معيارًا لمستقبل هذه الثورات وميزانًا لمدى أصالتها أو انحرافها، فإن الأشياء تُعرف بأضدادها، وتعرف الثورات بضدّيتها للأنظمة التي تزلزلت بفعلها. الثوريون يجب أن يواصلوا حذرهم من افتعال الأهداف الموهومة ومن محاولات تغيير الشعارات.

[الثورات والثورات المضادة]

إنّ الغرب يسعى دون شك إلى أن يبدّل الثورات إلى ثورات مضادّة، ويحاول في النهاية أن يرمّم النظم القديمة بأسلوب جديد، ليبُقي سيطرته على العالم العربي لعشرات أخرى من السنين، وذلك بتفريغ مشاعر الجماهير وبالتقديم والتأخير بين الأصول والفروع، وتغيير صنائعه و إجراء إصلاحات شكلية متصنّعة، والتظاهر بالديمقراطية.

إنّ الغرب خلال عقود اليقظة الإسلامية وخاصة في السنوات الأخيرة بعد أن مُني بهزائم متلاحقة من إيران وأفغانستان حتى العراق ولبنان وفلسطين والآن من مصر وتونس وغيرها، سعى بعد فشله في نهج محاربة الإسلام واللجوء إلى العنف العلني، إلى نهج آخر وهو اصطناع البديل الكاذب والنموذج المزيّف، كي يجعل

(الإرهاب) المعادي للإنسانية بدل (العمليات الاستشهادية)، و يجعل (التعصب والتحجّروالعنف) بدل (التوجه الإسلامي والجهاد)، و(التعصب القومي والقبلي) بدل (الشعوربالانتماء الإسلامي والانتماء إلى الأمة الإسلامية)، و يجعل (التغرّب والتبعية الاقتصادية والثقافية) بدل (التطورالقائم على أساس الاستقلال)، و(العَلمانية) بدل (العِلميّة)، و(المداهنة) بدل (العقلانية)، و(الفساد والفوضى) بدل (الحرية)، و(الدكتاتورية) باسم (حفظ الأمن والنظام)، و(الروح الاستهلاكية والالتصاق بالأهداف الدنيوية التافهة والبذخ) باسم (التنمية والرقي)، و(الفقر والتخلف) باسم (الزهد والمعنوية).

[استقطابان جديدان]

إن ما كان عليه العالم من انقسام إلى قطبين متصارعين حول القوة والثروة وهما الرأسمالية والشيوعية قد انتهى، واليوم فإن الاستقطاب بين مستضعفي العالم بقيادة النهضة الإسلامية وبين المستبكرين بقيادة أمريكا والناتو والصهيونية.

لقد برز إلى الساحة معسكران ولا معسكرثالثاً لهما.

لاأريد في هذه الفرصة القصيرة أن استغرق في استعراض الماضي وفي تثمين يقظة الشعوب العربية.إننا والعالم بأجمعه دون شك نرنو إلى المنطقة، وننظربعين التقديرلشعوبها الناهضة من الجزيرة العربية وحتى شمال أفريقيا. لكني أريد أن أتحدث عن الحاضروالمستقبل.

إنني في العام الماضي ومن هذا المنبرفي صلاة الجمعة تحدثت إلى الشعب المصري النبيل حين كان ظلّ اللامبارك حسني يثقل على رؤوسهم، واليوم قد بدأت مرحلة جديدة والدكتاتوريمثل أمام المحكمة، وكلنا يحدونا الأمل بمستقبل نهضة مصرالعزيزة وسائر العرب النشامى.

[أطراف ساحة الثورة]

أطرح أولاً هذا السؤال: ماهي الأطراف المختلفة الحاضرة في ساحة الثورات؟

إنها طبعًا أولاً: أمريكا والناتو والنظام الصهيوني ومن لفّ لفهم وانخرط معهم في بعض الأنظمة العربية.

وثانيًا:الجماهيرعامة والشباب.

وثالثاً:الأحزاب والناشطون السياسيون الإسلاميون وغير الإسلاميين.

وما هي مكانة كل واحد من هذه الأطراف وما هي أهدافه؟

الفريق الأول:هم الخاسرون الأصليون في مصروتونس وفي سائرالبلدان الناهضة.

إنّ مشروعية وها هي اليوم موجوديّة القطب الرأسمالي والنموذج الليبرالي الديمقراطي الغربي يتعرض في داخل أوربا وأمريكا أيضًا لخطرالاضمحلال. وأصبحت بلدان هذا المعسكرفي وضع يشبه وضع المعسكرالشرقي في الثمانينات من القرن الماضي.

فالانهيارات الأخلاقية والاجتماعية، والأزمات العنيفة الاقتصادية، والهزائم العسكرية الكبرى في العراق وأفغانستان ولبنان وغزّة، وسقوط أو تزلزل أكثر النظم الدكتاتورية العميلة التابعة لهم في البلدان المسلمة والعربية، وخاصة فقدانهم مصر، وتعرض الكيان الصهيوني للخطر من الشمال والغرب ومن داخله بشكل لم يسبق له نظير، وانفضاح طبيعة التبعية والذيلية للمنظمات الدولية، والتعامل السياسي والمزدوج مع مسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان، ووقوعهم في المواقف المتناقضة والمضطربة والمزدوجة تجاه مسائل ليبيا ومصر والبحرين واليمن.

كل ذلك قد عرّض هذه المجموعة الأولى إلى أزمة ثقة عالمية وأزمة عميقة في قدرة اتخاذ القرار.

إنّ هدفهم الأكبر اليوم بعد عجزهم عن قمع الشعوب والسيطرة عليها هو:

السعي للسيطرة على غرفة قيادة الثورات واختراق الأحزاب الفاعلة.

وحفظ ما أمكن من هيكل الأنظمة الفاسدة الساقطة والاكتفاء بالإصلاحات السطحية والمسرحية.

و إعادة بناء عملائهم في داخل البلدان الثائرة، ثم اللجوء إلى عمليات تطميع وتهديد.

وقد يلجأون في المستقبل إلى الاغتيالات أو شراء ذمم بعض الأفراد والجماعات من أجل وقف عجلة الثورات أو دفعها إلى الخلف.

وبثّ اليأس في قلوب الجماهيرأو إشغالها بصراعات داخلية بإثارة مسائل فرعية.

و إضرام نيران العصبيات القومية والقبلية أو الدينية أو الحزبية واختلاق الشعارات المنحرفة لتغييرالثورات.

والتأثيرالمباشرأو غيرالمباشرعلى أذهان الثوريين وألسنتهم، ودفعهم إلى ألاعيب سياسية أو إثارة الفُرقة بينهم ثم توسيع نطاق هذه التفرقة لتشمل فئات الناس.

والسعي للمساومة خلف الكواليس مع بعض الخواص بالوعود الكاذبة كالمساعدات المالية.. وغيرها وغيرها من عشرات الحيل الأخرى مما أشرت إلى نماذج منها من قبل في المؤتمرالعالمي للصحوة الإسلامية بطهران.

إنّ بعض الأنظمة التابعة والمحافظة العربية أيضًا تقف إلى جانب أمريكا والناتو، ولو من أجل حفظ كراسيها، وتسعى بكل قواها لإيقاف عجلة الزمن ودفع ثورات المنطقة إلى الوراء أو سوقها نحو طريق مجهول، ورأسمالهم الوحيد في هذه المساعي دولارات النفط، وهدفهم الأساس هزيمة الشعوب في مصروتونس واليمن والبحرين.. وحفظ ثبات الكيان الصهيوني وضمان بقائه و إنزال الضربة بجبهة المقاومة في المنطقة.

أما المجموعة الثانية والأصلية فهي الشعوب.

ماذا تريد الشعوب؟

أرقام الإحصائيات الأمريكية المكررة في مصروأكثرالبلدان

الإسلامية تكشف عن الواقع وتقول لهم: إن ميزان التوجه نحو المساجد والالتزام بالمظاهرالإسلامية ومنها الحجاب والزيّ الإسلامي للمرأة قد ازداد ـ خلال السنوات الخمس من ألفين وثلاثة إلى ألفين وثمانية ـ بنسبة أربعين إلى خمس وسبعين بالمائة بين الشعوب من مصروالأردن حتى تركيا وماليزيا وغيرها من البلدان الإسلامية. كما ازداد ميزان السخط والنفورمن أمريكا بمعدل خمس وثمانين بالمائة في البلدان العربية والإسلامية، وقد تضاعف الأمل بالنصروالمستقبل بين الشباب خاصة بعد مشاهدة انتصارات شباب حزب الله وحماس في حربي الثلاثة والثلاثين يومًا والإثنين وعشرين يومًا وبعد اندحار وهزيمة أمريكا دونما مكاسب من العراق.

الشخصيات المحبوبة بين شباب مصر، وفق تلك الإحصائيات، هم المجاهدون المسلمون ضد الكيان الصهيوني.

النفرة من الصهيونية، والاهتمامُ بالقضية الفلسطينية والتمسكُ بالعزّة الإسلامية من الخصائص الأصلية للشعوب. خمسٌ وسبعونَ بالمائة من الشعب المصري أدلى بصوته لصالح الشعارات الإسلامية. في تونس أيضًا رفعت الأكثرية هذا اللواء، وفي ليبيا فإن النسبة إن لم تكن أكثرفليست بأقل. والشعوبُ تطلب من مندوبيها ومن الحكومات الجديدة تحقيقَ هذه الأهداف نفسِها أيضًا في المستقبل.

الشعب يريد مصرَعزيزةً كريمة ومحترمة وحرّة، لا يريد مصر

كمب ديفيد. لا يريد مصرَ الفقيرةَ والتابعة، لا يريد مصرَ الخاضعةَ لأوامر أمريكا والحليفة لإسرائيل، لا يريد مصرَ متحجرةً ومتطرفةً ولا مصر متغرّبةً وعلمانيةً وتابعة.

مصرُ الحرةُ العزيزة والإسلامية والمتطورةُ هي المطلبُ الأساس للشعب والشباب ولا يبغون اصطدامًا.

جيشُ مصر مع الشعب، وهناك في داخل مصر وخارجها من يريد الوقيعةَ بين الجيش والشعب في المستقبل، على الجميع أن يكونوا على حذر شديد. الجيش المصري سوف لا يتحمّل نفوذ أمريكا وحلفاء إسرائيل.

[إسلام رسول الله]

كذلك فإن الحديث حين يدور حول التوجه الإسلامي في مصر أو تونس أو ليبيا فإنه إسلام رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم) هذا الإسلام الذي شمل في المدينة أهلَ الذمة من المسيحيين واليهود بالرحمة والأمن، وليس الإسلام بمعنى إثارة الحروب الدينية بين عباد الله، ولا بمعنى الحرب المذهبية والطائفية بين المسلمين. مصر هي مصر دار التقريب بين المذاهب الإسلامية والشيخ شلتوت.

على أهلنا في مصر وتونس وليبيا أن يعلموا أن ما حققوه هو ثورة لم تكتمل، فهم و إن قطعوا خطوات رحبة، فإنهم في بداية طريق ذات الشوكة. العقبات ـ التي أوجدوها أمامنا بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ولا تزال مستمرة، وقد فشلت بفضل الله ورحمته

الواحدة تلو الأخرى ـ هذه العقبات فاقت مئات المرات ما كان أمامنا قبل سقوط نظام الشاه. لابدّ من التحلّي باليقظة وبدفع عجلة الثورة خطوة فخطوة حتى آخر المراحل ضمن برنامجٍ متوسطِ الأمد وطويلِ الأمد.

نظام طواغيت مصر كان أول حكومة عربية خانت القضية الفلسطينية وفتح الطريق أمام التراجع العربي، حتى أن الأنظمة العربية إلا واحدًا ـ هو سوريا ـ باعوا فلسطين، واتجهوا إلى مصالحة الصهيونية. إن النظام المصري البائد كان أحد نظامين عربيين هما موضع ثقة أمريكا و إسرائيل. والرئيس الأمريكي المرائي الحالي اختار مصر حسني مبارك ليوجّه رسالة الخداع والنفاق إلى المسلمين، لكن الشعب المصري في ثورته أعلن موقفه بوضوح، وأزال الأوهام من أذهان الجميع.

إن مصر اليوم يجب أن تستعيد دورها في الخط المقدم للدفاع عن القضية الفلسطينية، وأن تسحق بأقدامها معاهدة كمب ديفيد الخيانية وتحرقها. مصر الثورة لم تعد تستطيع أن تغدق بالطاقة والغاز على الكيان المتدهور الإسرائيلي على حساب قوت الشعب المصري ومعاناته.

أما مخاطبنا الثالث فهم الأحزاب والنُخب السياسية في مصر وسائر البلدان الناهضة.

إن المفكرين والمناضلين الإسلاميين في شمال أفريقيا من مصر

وتونس وحتى الجزائروالمغرب، وخاصة مصر،كانوا يحتلون مكانة الأبوّة الفكرية للصحوة الإسلامية، ولدعاة وحدة الأمة وعزّتها، ثم لتحريرالقدس. أنتم اليوم ترثون دماء آلاف الشهداء وعشرات الآلاف ممن عانوا زنزانات السجون والنفي والتعذيب، وما بذله المجاهدون والمناضلون ممن قدموا التضحيات خلال عقود متوالية في انتظاربزوغ فجرمثل هذه الأيام وهذه الانتصارات.

[مرحلة ليلة القدر]

أيها الإخوة والاخوات. حافظوا على هذه الأمانة الكبرى. الغرور والسذاجة آفتان كبيرتان لمرحلة ما بعد الانتصارالأول. أنتم تتحملون المسؤولية الأكبرفي ساحة إقامة النظام وصيانة مكتسبات الشعب وحلّ مشاكل النهضة. القوى العالمية والإقليمية التي نزلت بها الضربة تخامرذهنَها دون شك أفكارشيطانية من التفكيربالحذف والانتقام إلى مشروع ممارسة المكر والتزلزل والإخافة والتطميع بحقكم، وبالنهاية تفكرفي الإطاحة بالثورات وخلق أوضاع أسوأ مما كانت عليه والعياذ بالله.

إن قراراتكم ومواقفكم وإقداماتكم ستكون لها أبعاد تاريخية، وهذه المرحلة هي «ليلة القدر» في تاريخ بلدانكم. لاتثقوا بأمريكا والناتو. هؤلاء لايفكرون بمصالحكم ومصالح شعبكم. وكذلك لاترهبوهم.فهؤلاء واهون ويزدادون ضعفًا بسرعة. **حاكميتهم على العالم الإسلامي كانت فقط نتيجة خوفنا وجهلنا خلال مائة وخمسين عامًا. فلاتعقدوا عليهم الآمال، ولاتخافوهم. اعتمدوا فقط على الله سبحانه وثقوا فقط بشعبكم.** هؤلاء انهزموا في

العراق وخرجوا بخفّي حنين. وفي أفغانستان لم يكسبوا شيئًا، وفي لبنان انهزموا أمام حزب الله، وفي غزّة أمام حماس. وها هم الآن ينزلون من صياصيهم في مصروتونس بيد الشعب. لم يتحقق أي تقدم في برنامجهم. الصنم الغربي قد انهزم مثل الصنم الشيوعي وانهار جدار خوف الشعوب، فاحذروا أن يعيدوا إليكم الشعور بالخوف في المستقبل.

إحذروا ألاعيبهم، وكذلك احذروا ألاعيب الدولارات النفطية لعملاء الغرب وحلفائه من العرب، إذ سوف لا تخرجون بسلام في المستقبل من هذه الألاعيب. إسرائيل زائلة لا محالة ولا ينبغي أن تبقى وسوف لا تبقى بإذن الله تعالى. بدء الانحراف في الثورات الراهنة هو الرضوخ لبقاء الكيان الصهيوني، ومواصلة محادثات الاستسلام التي وضعت أساسها الأنظمة الساقطة.

[مهمتكم الأساس]

المطلب الأساس لشعوبكم العودة إلى الإسلام، وهو لا يعني طبعًا العودة إلى الماضي. لو أن الثورات حافظت بإذن الله على طابعها الحقيقي واستمرت ولم تتعرض للتآمر أو الاستحالة، فإن المسألة الأساس لكم هي كيفية إقامة النظام وتدوين الدستور و إدارة شؤون البلاد والثورات. وهذه هي نفسها مسألة إعادة بناء الحضارة الإسلامية في العصر الحديث.

في هذا الجهاد الكبير، مهمتكم الأصلية ستكون جبران ما عاناه بلدكم في حقب التخلّف، والاستبداد، والابتعاد عن الدين، والفقر، والتبعية، في أقصر مدّة بإذن الله، وستكون كيفية بناء

مجتمعكم بتوجّه إسلامي وبأسلوب حاكمية الشعب مع مراعاة العقلانية والعلم، وأن تتجاوزوا التهديدات الخارجية واحدة بعد أخرى، وأن تؤسسوا (الحرية والحقوق الاجتماعية) بدون (الليبرالية)، و(المساواة) بدون (الماركسية)، و(النَّظم والانضباط)بدون (الفاشية الغربية).

حافظوا على التزامكم بالشريعة الإسلامية التقدمية دون أن تقعوا في جمود وتحجّر.

واعرفوا كيف تكونون مستقلين دون أن تنزووا، وكيف تتطورون دون أن تكونوا تابعين، وكيف تمارسون الإدارة العلمية دون أن تكونوا علمانيين ومحافظين.

تجب إعادة قراءة التعاريف و إصلاحها. الغرب يقترح عليكم نموذجين: (الإسلام التكفيري) و(الإسلام العلماني)، وسوف يواصل التلويح بذلك كي لا يستقوي الإسلام الأصولي المعتدل والعقلاني بين ثورات المنطقة. استعيدوا تعريف الكلمات مرة أخرى وبدقّة.

[الديمقراطية والسلفية]

إذا كانت (الديمقراطية) بمعنى الشعبية والانتخابات الحرة في إطار أصول الثورات **فلتكونوا جميعًا ديمقراطيين**. و إذا كانت بمعنى السقوط في شراك الليبرالية، الديمقراطية التقليدية ومن الدرجة الثانية فلا يكن أحد ديمقراطيًا.

و(السلفية)إذا كانت تعني العودة إلى أصول القرآن والسنة والتمسك بالقيم الأصيلة ومكافحة الخرافات والانحرافات و إحياء

الشريعة ورفض التغرّب **فلتكونوا جميعًا سلفيين**، و إذا كانت بمعنى التعصّب والتحجّروالعنف في العلاقة بين الأديان أو المذاهب الإسلامية فإنها لا تنسجم مع روح التجديد والسماحة والعقلانية التي هي من أركان الفكروالحضارة الإسلامية، بل ستكون داعية لرواج العلمانية والتخلّي عن الدين.

[الإسلام الأمريكي والبريطاني]

كونوا متشائمين من الإسلام الذي تطلبه واشنطن ولندن وباريس، سواء من النوع العَلماني المتغرّب، أو من نوعه المتحجّر والعنيف. **لا تثقوا بإسلام يتحمّل الكيان الصهيوني لكنه يواجه المذاهب الإسلامية الأخرى دونما رحمة**، ويمدّ يد الصلح تجاه أمريكا والناتو لكنه يعمد في الداخل إلى إشعال الحروب القبلية والمذهبية. **وراء هذا الإسلام من هم أشداء على المؤمنين رحماء بالكافرين.**

كونوا متشائمين من الإسلام الأمريكي والبريطاني إذ إنه يدفعكم إلى شَرَك الرأسمالية الغربية والروح الاستهلاكية والانحطاط الأخلاقي.

في العقود الماضية كانت النخب وكذلك الحكام يفخرون بمقدارقوة تبعيتهم لفرنسا وبريطانيا وأمريكا أو الاتحاد السوفيتي السابق، وكانوا يفرون من النموذج الإسلامي، والأمراليوم على عكس ذلك.

اعلموا أن الغرب سيكون في صدد الانتقام.. الانتقام الاقتصادي والعسكري والسياسي والإعلامي.

لو أن شعوب مصر وتونس وليبيا وغيرها من الشعوب واصلت طريقها نحو الله بإذن الله فمن الممكن أن تتعرض لهذه التهديدات.

وأما الكلام الأخير، فهو إعلان استعداد الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني الكبير لخدمتكم والتعاون معكم وخدمة بعضنا البعض.

الثورة الإسلامية الإيرانية هي التجربة الإسلامية الأكثر نجاحًا في العصر الحديث **على صعيد إعادة الثقة بالنفس إلى الجماهير، وإعادة الثقة إلى النخب بالجماهير**، وعلى صعيد رفض أسطورة القوة التي لا تقهر للأنظمة الطاغوتية وأربابها، وفي ساحة كسر غرور الشيوعية والرأسمالية، وتقديم نماذج فاعلة للتطورات الكبرى في البلاد، مع حفظ سيادة الشعب والدفاع عن القيم الأساسية.

أيها الإخوة والأخوات، لسنوات يوجهون إليكم أكاذيب بشأن إخوتكم الإيرانيين، والحقيقة بشأن إيران الإسلام هي هذه التي أبينها لكم:

ثورتنا حقّقت انتصارات في العقود الثلاثة الأخيرة، وكانت لها نقاط ضعف أيضًا. لكن أية نهضة إسلامية في العالم ـ بعد سيطرة الغرب والشرق على المسلمين في القرن الماضي ـ لم تتقدم إلى هذا الحد ولم تتجاوز كل هذه الموانع.

لنا معكم أيها الإخوة حديث طويل في المستقبل إن شاء الله. في الإعلام الرأسمالي وأبواق الصهيونية العالمية (إيران) متهمة بالإرهاب ،وما ذلك إلا لأنها رفضت أن تترك الإخوة العرب في

فلسطين ولبنان والعراق لوحدهم وأن تعترف بالمحتلين، والحال أننا أكبر ضحية للإرهاب في العالم، وهذا الإرهاب لا يزال مستمرًا بحقنا.

لو أن الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية قد تركت الإخوة المظلومين في أفغانستان والبوسنة ولبنان والعراق وفلسطين لشأنهم كما فعلت سائر الحكومات المتظاهرة بالإسلام، ولو كنا مثل أكثر الأنظمة العربية التي خانت القضية الفلسطينية، قد آثرنا السكوت وطعنّا من الخلف، لما وصمونا بمساندة الإرهاب والتدخل. **نحن نفكر بتحرير القدس الشريف وكل الأرض الفلسطينية، هذه هي الجريمة الكبرى التي يرتكبها الشعب الإيراني والجمهورية الإسلامية!!**

إنهم يتحدثون عن التمدد الإيراني والشيعي، بينما لم نعتبر الثورة الإسلامية إطلاقًا شيعية صرفة أو قومية و إيرانية، ولن نعتبرها كذلك أبدًا. خلال العقود الثلاثة ما دفعنا ثمنه وتعرضنا من أجله للتهديد إنما هو **توجهنا الإسلامي وانتماؤنا إلى الأمة الإسلامية وشعار الوحدة والتقريب المذهبي والحرية والعزّة للمسلمين جميعًا من شرق آسيا حتى عمق أفريقيا وأوربا.**

إيران الإسلام قطعت خطوات رحبة فريدة في ساحة العلم والتقانة والحقوق الاجتماعية والعدالة الاجتماعية والتنمية والصحة وتأمين كرامة المرأة وحقوق الأقليات الدينية وغيرها من الساحات. ونحن نعرف أيضًا مواضع ضعفنا وبعون الله وقوته نعمل على علاجها إن شاء الله.

معادلة المقاومة في المنطقة قد تغيرت بمساعدة الجمهورية

الإسلامية، وارتقى الحَجَر في يد الفلسطينيين إلى (صاروخ في جواب الصاروخ) في غزة وسائر فصائل المقاومة الإسلامية أمام المحتلين.

إيران لا تستهدف نشر التوجّه الإيراني أو الشيعي بين المسلمين.

إيران تنهج طريق الدفاع عن القرآن والسنة و إحياء الأمة الإسلامية.

الثورة الإسلامية تعتقد أن مساعدة المجاهدين من أهل السنّة في منظمات حماس والجهاد، والمجاهدين الشيعة في حزب الله و أمل واجب شرعي وتكليف إلهي دونما تمييز بين هذا وذاك.

وحكومة إيران تعلن بصوت مرتفع قاطع أنها تؤمن بنهضة الشعوب (لا بالإرهاب)، وبوحدة المسلمين (لا بالغلبة والتناحر المذهبي)، وبالأخوة الإسلامية (لا بالتعالي القومي والعنصري)، وبالجهاد الإسلامي (لا بالعنف تجاه الآخر)، وهي ملتزمة بذلك إن شاء الله.

أسأل الله سبحانه أن يمنَّ على كل الشعوب المسلمة بالسعادة والسؤدد، وأن يوفقنا لفهم مسؤولياتنا الثقيلة والنهوض بها، وأن نعلم بيقين أن الله غالب على أمره.

عباد الله اتقوا الله وكونوا للظالم خصمًا وللمظلوم عونًا.أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

الذكرى الثالثة والثلاثون لانتصار الثورة الإسلامية في إيران

محمد علي التسخيري *

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النور:٥٥ - ٥٦) .

في يوم ولادة الزهراء (عليها السلام) بزغ نجم من سلالة أهل البيت(عليهم السلام)، وشقّ طريقه في سماء الإسلام والايمان، والعلم والعرفان، فأشرق على أمة قهرها أعداؤها، ودأبوا يمعنون في قمعها واذلالها، فأنار بإشراقه ظلمة الديجور الذي يلفّها، وكشف بشاعة المظالم التي تكتنفها، استبداد الساسة بآرائهم، وكذب مراوغة المسؤولين في تعاملهم، وثراء المرابين الفاحش في أوساطهم،

* -الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وفقر الأغلبية المدقع في مجتمعاتهم، وشيوع المنكرات والفواحش بين مترفيهم، وتعالي وطاغوتية كبرائهم، واستخذاء واستكانة فقرائهم، فأثار فيهم النخوة الإسلامية، وحبّ القيم الإنسانية، والتطلع إلى التحرر من أسر الطغاة، والتطلع إلى رحاب العزة والكرامة وسعادة الدارين، الدنيا والآخرة. فتظافرت الجهود وتعاضدت الهمم، والتفت الجماهير حول قائدها، وغلا مرجل تذمرها وتدخلت العناية الإلهية، في توفير الأسباب والعلل، وتوفيق الجهود ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ حتى تفجر البركان، فكانت الثورة الإسلامية في إيران، فالتهمت الطغاة الظالمين، وأزالت هيمنة الطغاة المترفين وأطاحت بأعظم ركيزة للاستعمار في المنطقة ، واستقرت دعائم الجمهورية الإسلامية في إيران، رغم الحروب العسكرية والاقتصادية والإعلامية وكثرة الاغتيالات والمؤامرات، وزرع الجيوب والألغام ووضع الموانع في طريقها، فتجاوزتها جميعها، بحكمة وهمّة و إيمان وصبر وشجاعة قائدها ومؤسسها سماحة آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني (قدس سره).

وقد أحدثت هذه الثورة المباركة هزة عنيفة في العالم، أيقظت الحسّ الإسلامي في المسلمين، بعد سبات طال عقودًا من السنين، ولفتت أنظارهم إلى مبادئ الإسلام الحية، وأحكامه السليمة ، السالمة من نزعات الإنسان، وأنانيته ، وعبثيته ، وأهوائه، وانفعالاته، وقصور احاطته وعلمه ، الذي ثبت وجودها في الأنظمة الوضعية،

ففشلت بسببها ، كالاشتراكية في الاتحاد السوفياتي، بتجربتها المرّة التي قاست شعوبها عذابها الأليم والرأسمالية التي نخرت بناءها الأنانيات ، فتفككت أسرها نتيجة إطلاق الحرية الفردية فيها، وسرت وفتكت الأمراض بها نتيجة شيوع الحرية الجنسية، وهيمنت ثلة من الرأسماليين على الشعوب الأمريكية وغيرها من الشعوب اقتصاديًا وسياسيًا واعلاميًا.

وها نحن نشهد – أثرقيام الجمهورية الإسلامية في إيران –اقبال المسلمين وغيرهم المتزايد على الإسلام، وقيام الحواربين الأديان، والحواربين الحضارات، وشيوع الصحوة الإسلامية، وتبدل الصورة القاتمة التي حاول الاستكبار أن يثبتها في أذهان الناس عن الإسلام بصورته النقية الحقيقية الناصعة الحية الفاعلة في مجالات الحياة المختلفة.

وبعد أن انتقل قائدها الشجاع ومرشدها الحكيم إلى الرفيق الأعلى تحولت الراية إلى عَلَم آخرمن أعلام أهل البيت(ع) ، تلميذه الشجاع، سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي ، ليقود المسيرة على نهج أستاذه الراحل (رضي الله عنه).

وفي ملحمة هذا الصراع القائم في عالمنا المعاصر، ووسط استعراض الأقوياء عضلاتهم بوجوه الضعفاء، وتنامي صراع الشعوب ضد أعداء الإنسانية، وتطاحن الحكومات مع بعضها، وتعاليها على بعضها، ووسط الضجيج الإعلامي الذي راح يصمّ

الآذان ويسلب الألباب، ووسط الاستحواذ المادي والشهواني على عقول وأحلام الكثيرمن الشباب ، وسط تعملق الشركات وخططها الجهنمية في سحق المستضعفين واتخاذ طاقاتهم وقودًا لحركة عجلات ودواليب معاملها، وسوقًا لتصريف بضاعتها، ووسط الفقرالجماهيري الشديد إلى القيم التي تحييهم، والقيادة النزيهة التي تخلّصهم من هذا الواقع الفاسد وهذه الحياة البئيسة. إننا –في هذا العصروسط هذه الحقائق –نفتقرإلى مثل هذه القيادة المؤمنة الرشيدة المخلصة لدينها وأمتها.

و إننا، اذ نحيّي هذه الذكرى الحبيبة ونحياها، ونمجّد مثل هذه الشخصية اللامعة، إنما نمجّد المبادئ الخيّرة، والقيم الشريفة، والتفاني النزيه في الله، ولكي نستفيد من الدروس والعبرالتي نحصل عليها منها، ونصلح بها شؤوننا، ونصحح بها مواقفنا، ونبني بها مستقبلنا وحاضرنا، ونشيد بها عزتنا وكرامتنا.

وبهذه المناسبة نهيب بكل المسلمين والأحرارفي العالم دراسة الإسلام عن وعي وبصيرة، والعمل بمبادئه بجدية و إخلاص لعلنا ننال رحمة الله ورضاه.

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

آراء في أسباب التخلّف الحضاري

من الطبيعي أن تشغل هذه المسألة ذهن كلّ المصلحين والإحيائيين المسلمين، وأن تكون في صدراهتماماتهم الفكرية والعملية. لذلك نراهم تناولوها من وجهات نظرمختلفة وبيّنوا فيها آراءهم، لكنني بحدود اطلاعي لم أجد دراسة مستوعبة قائمة على أساس منظومة فكرية متكاملة تطرح هذه المسألة وتبيّن عواملها وسبل تجاوزها، وإنّما نرى أفكارًا في هذا المجال تحتاج إلى جهد علمي وفكري لوضعها في منظومة منسجمة متكاملة موجّهة.

بحدود اطلاعي لم أجد أقسام دراسات الحضارة الإسلامية في الجامعات تتناول هذه المسألة، بل الاهتمام ينصبّ على دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية في عصورانتاجها وحركتها، أما في واقعها ومستقبلها فقلّ أن نرى تناولاً لها.

أذكر هنا بعض آراء الإحيائيين المتأخرين ممن حملوا همّ التخلّف الحضاري في أمتنا.

من أوائل الذين حركوا موجة الإحياء في القرن التاسع عشر **السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني** (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م – ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م).

هذا الرجل رأى المشكلة كامنةً في السلطة السياسية المهيمنة على العالم الإسلامي سواء كانت قاجارية أم عثمانية أم خديوية، ورأى أن هذه السلطة المستبدة سبب كل فساد في المجتمعات المسلمة.

وأقام مشروعه على ثلاثة محاور:

١.يقظة الشرق ٢- العودة إلى الإسلام ٣- وحدة المسلمين [١].

ويعود سرّنجاحه بخاصة في رأينا إلى:

أ- انفتاحه على الآخر المسلم والغربي، فقد تجاوز التقسيمات العرقية والإقليمية والطائفية بين المسلمين وأصبح ينتمي إلى كلّ الأمة الإسلامية، كما أنه انفتح على الحضارة الغربية، ودعا إلى الأخذ بإيجابياتها.

ب –الجمع بين الأصالة والمعاصرة مما أعاد الأمل إلى النفوس المهزورة بإمكان عودة الإسلام إلى الحياة بلغة العصر وعلى مستوى متطلّبات العصر، و إمكان الإصلاح والنهضة من منطلق إسلامي لا غربي [٢].

١- سالشماري علامه سيد جمال الدين اسد آبادي، علي اكبر ذاكري، عروة الوثقى، مجمع جهاني تقريب بين مذاهب إسلامي ١٣٧٥ش (فارسي).

٢- آذرشب، محمد علي، دور السيد جمال الدين في الأدب العربي الحديث، مقال في المصدر المذكور أعلاه.

ومن طلائع النهضة **عبد الرحمن الكواكبي** (١٢٧١هـ/١٨٥٥م – ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، وهذا الرجل أيضًا مثل السيد جمال الدين جمع بين الأصل الفارسي (من الأسرة الصفوية الإيرانية) والمحتد العربي (حلب سوريا)، وامتاز بعمق التفكير وبالثورة على الواقع. وذهب إلى أن مشكلة الأمة تكمن فيما سمّاه «الفتور»، وهذا الفتور ناشئ عن فقدان الحرية[١].

وبالمناسبة أذكر هنا رأيًا آخر لشابّ لم يمهله الأجل لتقديم مشروعه النهضوي وهو **أبو القاسم الشابي** (١٩٠٩-١٩٣٤).

ولو قدّر لهذا النابغة التونسي أن يمتدّ به العمر لكان في مقدمة الإحيائيين المعاصرين. يتحدث عن سبب ما هو مشهود في الساحة البشرية من تفاوت بين الشعوب في ابتكارها و إبداعها وفنونها وآدابها، بين شعب يطفح بالحياة والحيوية وشعب هو أقرب إلى البطالة والفراغ والكسل والخمول، وينقل رأيًا يقول: إنه الحرية. ويرفض ذلك ويرى أنه «يقظة الإحساس» لا الحرية.. «يقظة روحية عميقة سامية تملأهم شعورًا بأنفسهم وبالحياة»[٢].

١- الكواكبي *أم القرى*، ص ٥٨، وما بعدها، دراسة وتحقيق محمد جمال الطحان، ط ١، دمشق ٢٠٠٢م.

٢- الحليوي، محمد ، *الشابي*، المجلد الثاني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ط ١، تونس ١٩٩٤.

ولعل أكبر مفكر مسلم اهتمّ بدراسة التخلّف الحضاري في العالم الإسلامي وسبل الإقلاع الحضاري هو **مالك بن نبي** فقد كرّس أكثر كتاباته على هذا الموضوع، وأقام مشروعه على أساس «بناء الذات ومقاومة مخطط الاستعمار»[1].

يرى مالك بن نبي أن الحركة الحضارية تنتج من تفاعل «الإنسان» و«التراب» و«الوقت»[2]. وهذا التفاعل يحتاج إلى طاقة روحية لا يمكن أن يوفّرها إلاّ الدين.

ويقصد بالدين أن ينشدّ الإنسان إلى معبود غيبي بالمعنى العام[3].. أي أن ينشدّ إلى أهداف بعيدة يضع حجرها الأول جيل وتواصل بناءه، الأجيال المتعاقبة.

ونفس الحقيقة يلامسها **الإمام الشهيد محمد باقرالصدر** إذ يطرح نظرية المثل الأعلى ويرى أن الأمة تتحرك بمقدار ما يملك مثلها الأعلى من طاقة للدفع، فإذا كان مثلها الأعلى هابطًا فإن الأمة تعيش همومها اليوميّة التافهة وتراوح في مكانها. أما إذا كان ذلك المثل الأعلى كبيرًا فإنه يدفع الأمة إلى أهداف كبرى. والدين

١- ثقافة المقاومة بين العودة إلى الذات ونموذج الوعد الصادق، محمد حسن يزي، ثقافتنا، العدد ١٥ ص ١١٩.

٢- مالك بن نبي *شروط النهضة*، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط٤، دمشق ١٩٨٧، ص٤٩

٣- المصدر نفسه/ ٥٦.

الحقّ يدفع بالمسيرة الإنسانية لأن تتجه نحو الله سبحانه. والإنسان في حركته نحو الله يسير على طريق غير متناه، ومجال التطور والإبداع والنمو متواصل دائمًا دون توقف[1].

ويمكن جمع كل الآراء السابقة سواء مَنْ رأى أن العامل في التحرّك الحضاري يكمن في التخلّص من **الاستبداد السياسي**» أو الذي رأى أنه في **يقظة الشعور**» أو **بناء الذات** و**مقاومة الاستعمار**أو الانشداد إلى **المثل الأعلى الحق**. يمكن جمع كل تلك الآراء ـ في اعتقادنا ـ بعبارة واحدة هي أن عامل التحرّك الحضاري هو **العزّة**.

فالعزّة تمنح «الحياة»، وبعكسها الذلّ عامل قهر وموت للإنسان والمجموعة البشرية.

و إذا نشطت روح الحياة في الكائن الإنساني والمجموعة البشرية استيقظ فيها الشعور، وتوفرت عوامل بناء الذات، وتصاعدت روح المقاومة واتجهت نحو الأهداف الكبيرة.

الإحيائيون بمختلف اتجاهاتهم حاولوا أن يغرسوا روح **العزّة** في النفوس، ويزيلوا من أمامها عوامل الإذلال.

١- الصدر، محمد باقر *مقدمات للتفسير الموضوعي للقرآن*، ط ١، بيروت ١٤٠٠هـ، ص ١٢٩ – ١٥٢.

إفرازات التخلف الحضاري

الحديث عن إفرازات التخلف الحضاري، هو، الحديث عن الحالة النفسية للإنسان الذليل والحالة الاجتماعية للمجتمع الذليل، وهذه الإفرازات أو الأعراض أُجملها فيما يلي:

١ـ فقدان قيمة الإنسان: حالة الذل تخلق عقدة الحقارة في نفس الإنسان، والحقارة هي أن لا يرى لنفسه وزنًا ولا قيمة.. ومن الطبيعي أن لا يرى للآخر الذي يعيش في مجتمعه قيمة. ولذلك تنعدم أخلاق الاحترام وحفظ الحقوق في مثل هذا المجتمع، ويصبح الإنسان أرخص شيء فيه، وتُهدر كرامته لأتفه الأسباب.

٢- الروح العدوانية التسلطية: الذل لا يستطيع أن يقضي على فطرة العزّة أو التيموس في نفس الإنسان، بل يمسخها، وكل العوامل للمضادة للفطرة السليمة لا تقضي عليها بل تضلّل طريقها وتغيّر معالمها. من هنا فإن الإنسان المقهور يطلب العزّة ولكنه يطلبها في العدوان على من هو أضعف منه، ولذلك نرى طغيان روح الدكتاتورية في كل أطر هذا المجتمع، السياسية منها، والعائلية، والثقافية، والاقتصادية.

٣- الذوبان والتماهي في القوى المسيطرة: وفي مقابل الروح العدوانية للقوي تجاه الضعيف، يتخذ الضعيف موقف العبودية تجاه القوي، يشعر أمامه بالصغرويودّ أن يقيم له فروض الطاعة، ويستسلم لأوامره، وقد يرتكب أبشع أنواع الجرائم وأفظع ألوان الخيانات من أجل استرضائه.

٤- **قصور الفكر المنهجي:** الإنسان المقهور يفقد قدرة التفكير الشمولي المنطقي القائم على منهج علمي، وتصبح تحليلاته للأمور فجّة وناقصة، وتكون مواقفه القائمة على أساس تلك التحليلات مواقف مهزوزه لا تصبّ في مصلحته ولا تتجه نحو مقصد واضح. يشير عبدالرحمن الكواكبي إلى هذه الحالة فيقول:[1]

«ليس من شأن الشرقي أن يسير مع الغربي في طريق واحدة، فلا تطاوعه طباعه على استباحة ما يستحسنه الغربي، وإن تكلف تقليده في أمر فلا يحسن التقليد، وإن أحسنه فلا يثبت، وإن ثبت فلا يعرف استثماره، حتى لو سقطت الثمرة في كفه تمنى لو قفزت على فمه!.. فالشرقي مثلا يهتم في شأن ظالمه إلى أن يزول عنه ظلمه، ثم لا يفكر فيمن يخلفه ولا يراقبه، فيقع في الظلم ثانية، فيعيد الكرة ويعود الظلم إلى ما لا نهاية. وكأولئك الباطنية في الإسلام: فتكوا بمئات الأمراء على غير طائل، كأنهم لم يسمعوا بالحكمة النبوية: «لا يلدغ المرء من جحر مرتين»، ولا بالحكمة القرآنية: ﴿إن الله يحبُّ المتّقين﴾ أما الغربي إذا أخذ على يد ظالمه فلا يفلته حتى يشلّها، بل حتى يقطعها ويكوي مقطعها».

٥- **الانفعال والتأرجح بين الإفراط والتفريط:** قد يندرج هذا العارض ضمن فقدان الفكر المنهجي ولكنه لبروزه أكثر وأهميته أضعه في عنوان مستقل، فالانفعال يعني عدم مواجهة الواقع بخطة فاعلة، بل

١- الكواكبي، *طبائع الاستبداد*، حلب، ٢٠٠٦م، ص ٤٣١.

الانجراف في أحداث الواقع لتفعل به ما تشاء. وتجاه هذا الانجراف أو الانفعال يتخذ أحد موقفين إما الإفراط أو التفريط..

إما أن يتشدّد أكثر مما ينبغي أو يتراخى أكثر مما ينبغي، وفي كلا الحالتين لا يستطيع أن يحافظ على الوسطية، وعلى التعادل، ويبقى متأرجحًا كشعرة في مهبّ الريح.

٦- **سيطرة الخرافات**: حين لا يستطيع الإنسان المقهور أن يتجه نحو فهم الأسباب الحقيقية لواقعه المؤلم، يتجه إلى الخرافات ليرجع مظاهر قهره وتخلفه إلى أسباب غيبيّة، وفي السِيَر الشعبية التي ظهرت في عصور الانحطاط. وفي العقائد الجبرية التي سادت في ظروف الإذلال خير مثال على سيطرة الخرافات التي تتخذ مع الأسف أحيانًا طابعًا دينيًا.

وفي هذا الصدد يصف الكواكبي أسير الاستبداد، وهو المصاب بداء الذل والتخلف الحضاري فيقول:[1]

«إن أخوف ما يخافه الأسير هو أن يظهر عليه أثر نعمة الله في الجسم أو المال، فتصيبه عين الجواسيس (وهذا أصل عقيدة إصابة العين)! أو أن يظهر له شأن في علم أو جاه أو نعمة مهمة، فيسعى به حاسدوه إلى المستبد (وهذا أصل شر الحسد الذي يتعوذ منه)! وقد يتحيل الأسير على حفظ ماله الذي لا يمكنه إخفاؤه كالزوجة الجميلة، أو الدابة الثمينة، أو الدار الكبيرة، فيحميها بإسناد الشؤم،

١- المصدر نفسه، ص ٤٤٧.

وهذا أصل التشاؤم بالأقدام والنواصي والأعتاب».

٧- **غياب الأهداف البعيدة:** الإنسان العزيز هو الإنسان الحيّ ومن مظاهر الحياة التطلّع إلى المستقبل، والذليل يفقد النظرة المستقبلية ولا يستطيع أن يتجاوز واقعه. بل إنه يقدّس هذا الواقع، ويرى في كل تطوير تهديدًا لوجوده وكيانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

٨- **التمزّق الاجتماعي:** ظاهرة التمزّق حالة طبيعيّة لغياب الهدف الذي يجمع الأمة، إذ يكون هدف كل فرد في المجتمع المقهور ذاتياته وأهواءه. والذاتيات الفردية لا تلتقي غالبًا، بل تتصارع المصالح الفردية في حالة غياب المصالح الاجتماعية.

أضف إلى ذلك فإن دافع حبّ الاعتراف تدفع المقهورين للانضمام إلى جماعات لا هدف لها سوى تحقيق الذاتيات أيضًا، غير أن هذه الجماعات إما أن تحمل عنوان قبيلة أو عشيرة، أو تتخذ صفة حزب وجماعة هي ـ وإن حملت شعارات قومية أو وطنية ـ لكنها في الواقع عشائرية محضة. ثم إنك ترى داخل هذه الجماعات نوعًا من الارتباط، غير أنه ظاهري لأن كل فرد يعيش همومه الذاتية: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

٩- **الانكفاء على الذات:** الذاتية المستفحلة في الفرد المقهور والمجتمع المقهور لا تخلق حالة الانفتاح على الآخر، بل تجعل نظره قاصرًا على نفسه ومحيطه، فيرى نفسه محور الكون ويرى قريته ما بعدها قرية.

الخطاب الصادر عن المجتمع المقهور يتحدث مع نفسه لا مع الآخر، لأنه لا يعرف الآخر، والتعصّب ينتج عن هذا الانكفاء، لأن المتعصّب لا يتحرّى الصحة، بل ينشد ذاتيته ويطلب الانتصار على الرأي الآخر بشتى أنواع المغالطات والمكابرات.

١٠- **تكريس الذاتية:** وإذا كان الانكفاء على الذات يحول دون الانفتاح على الآخر، فإن تكريس الذاتية تجعل الفرد في كل المجالات لا يفكّر إلاّ بمصالحه الذاتية حتى في موقفه من أقرب الناس إليه. لذلك قلّ أن تجد عند المقهورين مشاريع عامة، وقلّ أن تجد خططًا ناجحة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وقلّ أن تعثر على ابتكارات واختراعات لأن كل ذلك يحتاج إلى تجاوز الذات والتفكير في المصحة العامة.

١١- **استفحال الشهوات:** الإنسان طبعًا له شهوات، ومن الطبيعي أن يكون جزء من وقته مخصصًا لتلبية حاجة هذه الشهوات، ولكن الإنسان الذليل تستعر عنده الشهوات حتى تستوعب كلّ تفكيره ومشاريعه. وللإحساس بالكرامة ارتباط مباشر بانخفاض ضغط الشهوات. وفي النصوص الدينية: «**من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته**».

ويرى الكواكبي أن «الأسير» (وهو تعبيره عن المتخلف) لا يعرف من اللذات سوى اللذات البهيمية يقول:

«وهذه الحال تجعل الأسير لا يذوق في الكون لذة نعيم، غير بعض الملذّات البهيمية. بناء عليه، يكون شديد الحرص على حياته

الحيوانية و إن كانت تعيسة، وكيف لا يحرص عليها وهو لا يعرف غيرها؟! أين هو من الحياة الأدبية؟! أين هو من الحياة الاجتماعية؟! أما الأحرار فتكون منزلة حياتهم الحيوانية عندهم بعد مراتب عديدة، ولا يعرف ذلك إلا من كان منهم، أو كشف عن بصيرته»[1].

١٢- انسداد منافذ المعرفة: استفحال الذاتية وتضخّمها يجعلها طاغوتًا يقف سدًا أمام الحركة التكاملية نحو الله، ويسدّ منافذ المعرفة، ويحول دون «الاستماع» ودون قدرة انتخاب الأحسن مما يسمع.

و إلى ذلك تشير الآية الكريمة:

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى :

فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾.

وفي هذه الحالة ينعدم الحوار، لأن الحوار يتطلب قولاً واستماعًا، و إذا انسدت منافذ الاستماع لا يبقى إلاّ القول. حتى في المناظرات. الجانبان يقولان ولا يستمعان. أحدهما يقول بلسانه، والثاني يقول مع نفسه ليردّ على الآخر.

١- الكواكبي، مصدر مذكور، ص ٤٢٠.

التقريب في القرن الماضي

أعلن الإسلام مبادئه على قاعدة: «لاإله إلا الله» ، لرفض كل الآلهة المزيفة المتعلقة على طريق تكامل المسيرة البشرية، وليحرر الإنسان من الأغلال التي تعيق حركته نحو الله؛ أي نحو كل المثل العليا التي خلق الإنسان من أجل تحقيقها وليزيل عن النفس الانسانية العوامل التي تدفع إلى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، ولتفتح أمامه آفاق قدرة الله وتدعوه إلى ممارسة دور الاستخلاف في استثمار هذه القدرة لخلق حياة أفضل لبني الإنسان.

سجّل الإسلام ـ ولايزال يسجل ـ فصولاً رائعة في تاريخ تحرير الإنسان وتزكيته ودفعه على طريق العلم والعمران ونشر العدل ومقارعة الظالمين.

غير أن أتباعه ـ مثل أتباع كل المدارس السماوية والوضعية ـ منهم من يرتفع إلى مستوى أهداف الرسالة، ومنهم من يعيش ذاتياته محاولا تسخير الرسالة لصالح الذات.

المجموعة الأولى تشمل عادة القادة الرساليين والمصلحين المخلصين والمؤمنين المتدينين المتقين من عامة الناس.

والمجموعة الثانية يمثلها غالبًا الحكام الحريصون على الحكم، وكل المتكالبين على متاع الدنيا من وعاظ السلاطين

وأصحاب الدكاكين، وجميع الذين يحملون ذاتيات مستفحلة لا يمكن أن تذوب في الأهداف الرسالية، بل يريدون إذابة الرسالة في ذواتهم المتورمة.

الفتن الطائفية في العالم الإسلامي على مر التاريخ مردّها إلى المجموعة الثانية، وإن كانت هذه المجموعة تتخذ أحيانًا من عامة المؤمنين وقودًا لمعركتها بعد أن تظللها بالشعارات الدينية الرسالية.

عالمنا المعاصر يرث أعباء كل انحرافات التاريخ الإسلامي المستمدة عادة من ذاتيات الساقطين في فتنة السلطان والمال والجاه، وإذا تجاوزنا تاريخ صدر الإسلام، والعصر الأموي والعباسي، وما آل إليه من سقوط على يد المغول؛ نتيجة عوامل الضعف التي نخرت فيه، وأهمها التجزئة الاجتماعية: طائفية أو قومية أو طبقية، نلاحظ أن **التفرقة الطائفية كانت من محاور ممارسة الحكام في القرون الأخيرة**، وهي ممارسات تلقي بثقلها أكثر من غيرها على كاهل أمتنا في العصر الحديث.

لو عدنا إلى الوراء، وبدأنا من القرن العاشر الهجري لشاهدنا فصلاً مهمًا من فصول النزاع السني ـ الشيعي في عالمنا الإسلامي، أشعلت نيرانه مصالح الحكم وغذته الحروب بين الدولة الصفوية والعثمانية.

فمنذ أن دخل الشاه إسماعيل الصفوي بغداد سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م، ونشب الصراع الصفوي العثماني، تحول العراق إلى ساحة

للصراع الطائفي، بل امتدت هذه الساحة لتشمل إيران والعالم العربي[1]، ومنذ ذلك الوقت بدأ التدخل الأوروبي في المنطقة عن طريق الدعم العسكري لهذا الجانب أو ذاك[2]، ولايزال ذلك الصراع الطائفي وما خلفه من ثقافة شعبية وأدبيات التراشق يشكل الأرضية لكل استفزاز طائفي في مجتمعاتنا الإسلامية.

و إلى جانب الصراع العثماني ـ الصفوي ظهرت أحداث غذت الطائفية، منها تحرّك الأفغان باسم السنة للقضاء على الدولة الصفوية الشيعية. فقد هجم زعيم أحد القبائل الأفغانية «مير محمود» في بدايات القرن الثامن عشر الميلادي على إصفهان عاصمة الصفويين وأقام مجزرة رهيبة تقشعر منها الأبدان[3]، وبدأ هذا الأفغاني بمنافسة حادة مع السلطان العثماني رغم أنهما سنيّان. ولم يمكث الأفغان في إيران طويلاً إذ ظهر نادرشاه الأفشاري من قبائل الأفشار التركمانية، فطرد الأفغان وهزم العثمانيين من الأراضي الإيرانية وحاصر مدينة بغداد مرتين، ومدّ فتوحاته شرقًا إلى أواسط آسيا والهند.

---

١ - فاضل الأنصاري، *قصة الطوائف*، الإسلام بين المذهبية والطائفية، ط ١، دمشق ٢٠٠٠، ص ٣٦٣.

٢ - علي أكبر ولايتي، *مقدمة فكرية لحركة المشروطة*، ترجمة محمد علي آذرشب. منشورات المستشارية الثقافية الايرانية بدمشق وفيه معلومات قيمة عن دخول الأخوين تشرلي البريطانيين لإضرام الحرب الصفوية –العثمانية.

٣ - *قصة الطوائف*، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨.

ويهمنا الموقف المذهبي لنادرشاه، فهو تقرّب من السنة والشيعة، وطرح مشروع التقريب بينهما، ولكنه واجه رفضًا من العثمانيين، ويلاحظ أن مشروع التقريب هذا رغم ماشابه من مصالح الحكم وجهل الحاكم، قد نجح إلى حد كبيرفي جمع علماء السنة والشيعة لأول مرة في التاريخ على وثيقة تقريبية مشتركة تركز أسس التفاهم المذهبي بينهما[1].

وبقي العثمانيون يتمترسون وراء نصرة السنة ومحاربة الشيعة، وظل مشروع التقريب لنادرشاه يتسع ليشهد صلوات جماعة مشتركة بين الطائفتين، وأوشك المشروع أن يعم العالم الإسلامي لولا اغتيال نادرشاه، فظهرت المخلفات الطائفية مرة أخرى على السطح، وتواصلت الفتن والاضطرابات حتى استولت الأسرة القاجارية في ايران على الحكم عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م.

وفي ظل هذه الأسرة اشتعلت الصراعات الطائفية مرة أخرى. وفي هذا العصربالذات، ظهرت حركة تكفرمن تسميهم «أهل البدع» من السنة والشيعة. وأدت إلى انقسام أهل السنة بين مؤيد لها ومعارض ، كما أدت إلى إثارة زوبعة من التكفيرضد الشيعة. وفي عام ١٨٠٢م دخل أصحاب هذه الحركة مدينة كربلاء، فقتلوا

---

١ - انظرفي نادرشاه: علي الوردي، *تاريخ العراق الحديث*، ومحمد بهجت الأثري، *ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان*، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨١.

الآلاف ونهبوا وسلبوا، واعتدوا على مراقد أئمة أهل البيت، وكان ذلك عاملاً في تعميق النزاع الطائفي، ثم هجموا سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م على البصرة والزبير وهدموا مافيها من مراقد، وهجموا مرة ثالثة سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م على النجف؛ وكل ذلك أدى إلى استثارة طائفية شعبية عامة[1].

مشروع محمد علي باشا الإصلاحي واجه أول ماواجه المشكلة الطائفية؛ لذلك انشغل في حروب مع التكفيريين، كما بذل جهودًا كبيرة للتقرب من السنة وكسب الشيعة إلى صفه، وواصل ابراهيم باشا هذه المساعي، لكنه واجه فتنا طائفية هوجاء اشترك فيها السنة والشيعة إضافة إلى الدروز والمسيحيين والأرمن، وكان للتدخل الأجنبي إضافة إلى الموروث الطائفي أثر في هذه الفتن الطائفية.

وازداد نشاط الأوربيين للتغلغل في العالم الإسلامي، وتداعت الدولة العثمانية وأشرفت على السقوط، وانهزمت الدولة القاجارية أمام الروس واقتطعت أراضيها في معاهدتي «گلستان» و«تركمن چاى» واستشرى الفساد في العالم الإسلامي، ونشطت حركة الدروشة والخرافات، وتوفرت كلّ الظروف للسقوط.

في هذه الظروف نهض السيد جمال الدين المعروف بالأفغاني (١٢٥٥ – ١٣١٥هـ/ ١٨٣٩ – ١٨٩٧م) للدعوة إلى «**الجامعة الإسلامية**».

---

١ - فاضل الانصاري، مصدر مذكور، ص ٤٤٨.

وهي بداية عصر الدعوة الإحيائية التي حاولت الجمع بين أصالة الإسلام ومبادئه وبين مواكبة العصر، وقامت على أساس تجاوز الحساسيات الطائفية، والعودة إلى جوهر الإسلام، وصيانة وحدة الأمة الإسلامية من عوامل التجزئة والتخلف.

بدأ دعوته في إيران فلم يسمح له الموروث الطائفي والبطش السياسي أن يواصل دعوته، فما وجد في العالم الإسلامي أفضل من «مصر»؛ ليتخذها قاعدة للدعوة إلى «الجامعة الإسلامية» ويظهر أن مصر بعد غزو نابليون بدأت تتحسس الخطر على هويتها وشخصيتها الإسلامية، وبدأت هذه المشاعر تنمو ولكن ببطء وبدون إطار ودون أن تنتظم في مشروع إحيائي، فوجدت في دعوة السيد جمال الدين ضالتها، ولذلك كان الالتفاف حول دعوة السيد سريعًا ومدهشًا[1].

كانت دعوة جمال الدين مشروعًا نهضويًا مستكملا إلى حد كبير لشروط الانتماء الثقافي وشروط الخطاب المعاصر، وأوشك أن يدفع بمصر وبسائر العالم العربي والإسلامي إلى نهضة شاملة، لولا أن الأوروبيين، وخاصة الإنجليز، كانوا قد تغلغلوا في جسد الأمة عن طريق التنظيم الماسوني وعن طريق الإرساليات التبشيرية والمدارس والاستشراق و إشاعة روح الهزيمة؛ فوفروا الظروف لتدخلهم العسكري بعد ثورة عرابي باشا، وأحبطوا مشروع النهضة تمامًا.

---

١ - انظر: محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني وطريق النهوض والاستنارة بالإسلام، رسالة التقريب، العدد ١٤، ص ١٦٩ ومابعدها.

ترافق هذا الضعف في العالم الإسلامي مع ظهور المشروع القومي في تركيا و إيران والعالم العربي، واقترن هذا المشروع بالعلمانية، ونجح في تركيا في إحياء الطورانية وخلق تيار معاد للإسلام وللعرب وللغة العربية على يد أتاتورك. وأوشك أن يحقق نفس النجاح على يد رضاخان الذي قضى على الحكم القاجاري وأعلن نفسه شاه إيران، مؤسسًا بذلك الحكم البلهوي، ولكنه أخفق؛ بسبب معارضة التيار الديني[1].

والعالم العربي سقط بيد الاستعمار الأوروبي بالتدريج، ونفذ وعد بلفور بتأسيس إسرائيل، وكان من المفروض أن ينبثق نوع من التضامن الإسلامي أمام الهجوم الأوروبي والصهيوني العسكري والسياسي والثقافي، وظهر شيء من ذلك على مستوى بسيط، لكن عوامل التجزئة الطائفية ثم القومية حالت دون ذلك، ورغم ما حققته حركات التحرر من استقلال نسبي للعالم الإسلامي، لكنها بقيت تعيش الموروث الطائفي، وظلت مصالح السيطرة والهيمنة والحكم تستغل هذا الموروث؛ لتشعل النزاع الطائفي السني ـ الشيعي في الظروف اللازمة.

الموروث من القرون الأربعة السابقة على القرن العشرين ـ على الأقل ـ يتمثل في المحاور التالية:

---

١ - انظر سيد جلال الدين المدني، *تاريخ إيران السياسي المعاصر*، ترجمة سالم مشكور، طهران ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ـ الصراع بين السنة والشيعة على المحور الإيراني ـ التركي، وتشمل الدائرة التركية كل العالم العربي الذي خضع لسياسة الدولة العثمانية.

ـ الصراع السني الشيعي على المحور الأفغاني ـ الإيراني الموروث عبر هجوم الأفغان السنة على ايران الصفوية، ثم اندحارهم على يد نادرشاه.

ـ بعض التوجهات القائمة على أساس السلفية، وما أفرزته من جو سلفي في العالم الإسلامي يرفض كثيرًا مما يعتقد به أهل السنة والشيعة.

ـ النزاع المذهبي بين أهل السنة نتيجة القطيعة الفقهية بين المذاهب الأربعة.

وأما الموروث التقريبي فيتمثل في المحاور التالية:

ـ اتجاه مصر المبكر إلى دعوة الأمة الإسلامية للوحدة.

ـ اتجاه الحوزات العلمية في إيران والنجف إلى فكرة التقريب استنادًا إلى مفاهيم تحملها من مدرسة أهل البيت.

جهود التقريب والوحدة
على الصعيد الفـــردي

من الطبيعي أن ينهض المخلصون من أبناء الأمة إلى بذل ما وسعهم في سبيل وحدة الأمة الإسلامية؛ إذ كل نصوص القرآن والسنة ومنهج السيرة النبوية يدعو إلى ذلك، وكل الظروف القائمة المخيمة على المسلمين تفرض ذلك، وكل تطلع إلى عزّة المسلمين وكرامتهم يستوجب ذلك.

تحرك علماء المسلمين في فترة متقدمة من القرن الماضي لجمع كلمة المسلمين السنة والشيعة، منهم **السيد عبد الحسين شرف الدين**، فقد بذل جهدًا علميًا وعمليًا جبارًا؛ لإزالة سوء التفاهم بين علماء السنة والشيعة، وحج سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١ م عن طريق البحر في عهد الشريف حسين، واحتفى به الشريف، واجتمعا أكثر من مرة وغسلا الكعبة المشرفة معًا، ثم أمّ الناس في المسجد الحرام، **وهو أوّل عالم شيعي أمّ جموع الحجاج في هذا المسجد الكريم.**

وحين أحرق الاحتلال الفرنسي بيته ومكتبته الضخمة غادر لبنان إلى دمشق ثم إلى فلسطين، ومنها إلى مصر حيث اجتمع بالعلماء وعلى رأسهم شيخ الأزهر يومئذ **سليم البشري**، وكان من

نتائج اجتماعاته المتوالية بالشيخ سليم كتاب *المراجعات*[1].

وغيرلقاء شرف الدين ـالبشري، ثمة لقاء بين الزنجاني ـالمراغي ، فقد زارعالم الشيعة في النجف **الشيخ عبد الكريم الزنجاني** مصر سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. وكان شيخ الأزهريومئذ الشيخ **محمد مصطفى المراغي**، وأقيم للشيخ الزائرحفل كبيرفي الأزهرحضرته الشخصيات السياسية والعلمية المصرية، ومما قال:

«إني أشعربسعادة عظيمة وغبطة لوجودي بين هذا الحفل العلمي الكريم الذي تأيد فيه نجاح جهودنا الجبارة في سبيل توحيد شعورالمسلمين وتقوية الروابط الدينية بينهم، على اختلاف أوطانهم، و إذكاء روح الأخوة الإسلامية في طوائفهم المختلفة، وأرى جليًا أن وجوه النظربين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين، الشيعة والسنة، قد تقاربت بمساعينا ومساعي فضيلة **الأستاذ الأكبرالإمام المراغي**، وتجلت حقيقة الأخوة الإسلامية في هذا الاحتفال العظيم التارخي الذي أقامه الأزهرالشريف تكريمًا للنجف الأشرف»[2].

وعن هذا التكريم علقت صحيفة «البلاغ» المصرية: «ومما يذكرعن هذا التكريم العلمي ما لاحظه بعض المفكرين من أن هذه هي المرة الأولى بعد أكثرمن ألف سنة يجتمع فيها كبار

---

١ - وهو كتاب حواري بين الرجلين يدلل فيه السيد شرف الدين على اتفاق السنة والشيعة على الرجوع إلى القرآن والسنة.

٢ - محمد سعيد آل ثابت، *الإمام الزنجاني، والوحدة الإسلامية*، بغداد: مطبعة المعارف، ص ٥١ نقلاعن جريدة الأهرام المصرية، ١١ نوفمبر١٩٣٦.

العلماء السنيين في الأزهر برئاسة أكبر زعيم ديني وهو شيخ الجامع الأزهر لتكريم كبير علماء الشيعة الإمامية وهو الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني»[1].

ويظهر أن مراسلات كانت جارية بين الشيخ الزنجاني والشيخ المراغي قبل هذه الزيارة، ففي الوثائق أن الشيخين اهتزا لأنباء الحوادث التي جرت بين السنة والشيعة في الأقاليم الشمالية للهند سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، ودار الحديث بينهما حول مشروع إنشاء «**مجلس إسلامي أعلى**» يضم الشيعة والسنة للتغلب على المشاكل القائمة، ولم يتحقق المشروع.

وثمة لقاء تقريبي آخر كان في إطار مبادرات فردية هو لقاء الكاشاني - البنا[2].

في عام ١٩٤٨م خلال فترة الحج التقى العالم الإيراني **السيد أبو القاسم الكاشاني** (١٣٠٠ –١٣٨١هـ/ ١٨٨٣ –١٩٦٠م)، **بالشيخ حسن البنا** (١٣٢٤ –١٣٦٨هـ/ ١٩٠٦ –١٩٤٩م)، وحدث بينهما تفاهم وتقارب في وجهات النظر حول التقارب والوحدة بين المسلمين على أمل أن يكون هذا اللقاء بداية مسار على طريق الوحدة الإسلامية، وقد سجل هذا الحدث لأهميته في تراجم سيرة الرجلين، وكان

---

١ - صحيفة البلاغ المصرية، ٢٦ شعبان ١٣٥٥هـ / ١١ نوفمبر ١٩٣٦ م نقلا عن كتاب *الامام الزنجاني والوحدة الإسلامية* ص ١٠.

٢ - نقلا عن زكي الميلاد، *خطاب الوحدة الإسلامية مساهمات الفكر الإصلاحي الشيعي*، دار الصفوة، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥٦ و ٥٧.

ملفتًا للكثيرين، فقد نقل الأستاذ عبد المتعال الجبري عن روبير جاكسون في حديثه عن الشيخ حسن البنا قوله: «**ولو طال عمر هذا الرجل لكان يمكن أن يتحقق الكثير لهذه البلاد، خاصة لو اتفق حسن البنا وآية الله الكاشاني الزعيم الإيراني على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة والسنة. وقد التقى الرجلان في الحجاز عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ويبدو أنهما تفاهما ووصلا إلى نقطة رئيسة لولا أن عوجل حسن البناء بالاغتيال**». ويعلق الأستاذ الجبري قائلا: «**لقد صدق روبيروشمّ بحاسة السياسة جهد الإمام البنا في التقريب بين المذاهب الإسلامية فما باله لو أدرك عن قرب دوره الضخم في هذا المجال.. ما لا يتسع لذكره المقام**»[1].

وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م زار القاهرة **السيد نواب صفوي** زعيم حركة فدائيان إسلام، ولعل هذه الزيارة مرتبطة باللقاء الذي جرى بين الكاشاني والبنا، لما بين نواب صفوي والكاشاني من علاقة وطيدة[2].

واستقبلت زيارة صفوي للقاهرة باهتمام كبير وكانت بداية علاقات واتصالات وثيقة، يشرح هذه العلاقات الأستاذ حميد عنايت بقوله: «كانت حركة فدائيان إسلام هي الجماعة الوحيدة التي كان لها علاقات تعليمية عقائدية .وقيل تنظيمية أيضًا .مع مثيلاتها

---

١ - كتيب *السنة والشيعة ضحة مفتعلة*، الدكتور عزالدين ابراهيم (فتحي الشقاقي)، ضم على صغره معلومات قيمة عن ارتباط نواب صفوي بمصر.

٢ - انظر المرجع السابق.

عند أهل السنة في العالم العربي، وخلال السنوات العشر الأخيرة ترجمت كثير من مؤلفات **سيد قطب ومحمد الغزالي، ومصطفى السباعي** إلى الفارسية على أيدي الفدائيين أو حماتهم ونشرت في إيران. فإن تجلي مثل هذه الروح التي تتجاوز أي نوع من التمذهب من إحدى أكثر الجماعات الشيعية المعاصرة نضالاً أمر جدير بالإعجاب»[1].

وينقل الأستاذ محمد علي الضناوي في كتابه *كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث* ـ ص ١٥٠ ـ نقلاً عن برنارد لويس قوله: «**وبالرغم من مذهبهم الشيعي فإنهم يحملون فكرة عن الوحدة الإسلامية تماثل إلى حد كبير فكرة الإخوان المصريين، ولقد كانت بينهم اتصالات وعندما يلخص الأستاذ الضناوي بعض مبادئ فدائيان إسلام يجد فيها: أولا: الإسلام نظام شامل للحياة. ثانيًا: لاطائفية بين المسلمين أي بين السنة والشيعة، ثم ينقل عن نواب قوله: «لنعمل متحدين للإسلام ولننس كل ماعدا جهادنا في سبيل عز الإسلام ألم يأن للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام إلى شيعة وسنة»**[2].

ومن الذين نهضوا بمسؤولية مواجهة الطائفية ضمن مبادرة فردية **السيد محسن الأمين** (١٢٨٤ –١٣٧١/١٨٦٧ –١٩٥١م) فهذا الرجل مثل السيد عبد الحسين شرف الدين جاهد على جبهتين:

---

١ - المرجع نفسه، ص ١٩٢.

٢ - *السنة والشيعة*. مرجع سبق ذكر، ص ٢٠.

جبهة مقارعة الاستعمار الفرنسي، وجبهة رص الصف الإسلامي، وكلا الجهادين يلتقيان في هم واحد هو عزة المسلمين وكرامتهم. نشط في حقل الوحدة الإسلامية منذ قدومه من لبنان واستقراره في دمشق سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م، ونجح في ذلك بشهادة معاصريه.

يقول لطفي الحفار رئيس الوزراء السوري الأسبق:

«إن ما كان يتمتع به الإمام العلامة السيد محسن من الزعامة والقوة والحب العميق من جميع من عرفه واجتمع إليه من إخوانه ورجاله وأبناء عشيرته وغيرهم، كانت هذه الزعامة والحب قوة لنا لمتابعة الجهاد والنضال دون تردد أو ضعف، وكانت مجالسه كلها التي نغشاها من حين الى آخر مجالاً للدعوة الصالحة في وجوب التضامن والائتلاف ونبذ السخائم والخلافات والترفع عن الدنيا والإسفاف»[١].

وقال عنه الشيخ هاشم الخطيب من علماء السنة من دمشق: «لقد نهض بأبناء طائفته الجعفرية في سوريا ولبنان وجبل عامل نهضة مباركة، وخطا بهم خطوة طيبة حببت إليهم جميع إخوانهم من المسلمين والعرب، كما حببتهم أيضًا إلى الجميع فكانوا يدًا واحدة إخوانًا متحابين على سرر متقابلين، تجمعهم وحدة الإسلام وتنظم أهدافهم وغاياتهم المصلحة العامة»[٢].

ونقل عنه الدكتور مصطفى السباعي **«أن شخصًا جاء إليه لينتقل من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، فعرفه بأنه لا فرق بين**

---

١ - السيد محسن الأمين. أعيان الشيعة بيروت: دار التعارف، ج ١٠، ص ٣٨٤.

٢ - المرجع السابق، ص ٤١٣.

السنة والشيعة في العنوان الإسلامي. وعندما أصر هذا الرجل قال له السيد الأمين قل: أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدًا رسول الله، فقالها الرجل، قال له: لقد أصبحت شيعيًا».

ومن أصحاب المبادرات الفردية لتوحيد الصف الإسلامي أيضًا **الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء** (١٢٩٥ – ١٣٧٣هـ/ ١٨٧٨ – ١٩٥٣م)، وكان من المتعاونين مع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، ومن المشاركين في مجلتها رسالة الإسلام يقول هو عن نفسه:

«مضى عليّ أكثر من خمسين سنة، وأنا أهيب بإخواني المسلمين أدعوهم إلى الاتفاق، والوحدة وجمع الكلمة، ونبذ مايثير الحفائظ، وينبش الدفائن والضغائن التي أضرت بالإسلام وفرقت كلمة المسلمين فأصبح الإسلام غريبًا يستنجد بهم، تكالب عليه أعداؤه وجاحدوه وخذله أهله وحاملوه.

ومن أراد شاهد صدق على ذلك فليراجع الجزء الأول من *الدين والإسلام* أو *الدعوة الإسلامية* الذي طبع منذ ٤٤ سنة، ولينظر أول صفحة منه إلى صفحة ٢٧ تحت عنوان: البواعث والدواعي لهذه الدعوة، ولم تزل نشراتي ومؤلفاتي في أكثر من نصف قرن سلسلة متوالية الحلقات متصلة غير منقطة كلها في النصح والإرشاد والدعوة إلى الاتحاد ودفع الفساد»[1].

---

١ - محمد حسين آل كاشف الغطاء، *المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون*، بيروت، دار الغدير، لا تاريخ، ص٦٧ - ٦٨.

ذكرنا هذه المبادرات الفردية على سبيل المثال لا الحصر، وغيرهم كثيرون ممن بادر في القرن الماضي على الصعيد الفردي في الدعوة إلى وحدة المسلمين، كما أن الذين بادروا إلى هذا الهدف ضمن مشاريع ومؤسسات كثيرون أيضا، مثل الشيخ محمد تقي القمي، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، و.. سنذكرهم ضمن أصحاب المشاريع.

النفرة من الصهيونية، والاهتمامُ بالقضية الفلسطينية والتمسكُ بالعزّة الإسلامية من الخصائص الأصلية للشعوب. خمسٌ وسبعونَ بالمائة من الشعب المصري أدلى بصوته لصالح الشعارات الإسلامية. في تونس أيضًا رفعت الأكثرية هذا اللواء، وفي ليبيا فإن النسبة إن لم تكن أكثر فليست بأقل. والشعوبُ تطلب من مندوبيها ومن الحكومات الجديدة تحقيقَ هذه الأهداف نفسِها أيضًا في المستقبل. الشعب يريد مصرَ عزيزةً كريمة ومحترمة وحرّة، لا يريد مصر كمب ديفيد. لا يريد مصرَ الفقيرةَ والتابعة، لا يريد مصرَ الخاضعةَ لأوامر أمريكا والحليفة لإسرائيل، لا يريد مصرَ متحجرةً ومتطرفةً ولا مصر متغرّبةً وعلمانيةً وتابعة.

الإمام الخامنئي

تقويم حالة الطائفية والتقريب في القرن العشرين

يمكن تقويم الحالة الطائفية وحالة التقريب خلال القرن الماضي في النقاط التالية:

١ـ مصالح الحكم والسلطان لها الدور الكبير في الحالة الطائفية على صعيد العالم الإسلامي. قبل هذا القرن كانت مصالح الدول الإسلامية المتعارضة تقتضي إشعال نيران الطائفية، كما حدث إبان النزاع بين الدولتين العثمانية والصفوية، وفي هذا القرن اقتضت مصالح الهيمنة الدولية اللعب بورقة الطائفية، وهذا ما لاحظناه بوضوح أكثر في العقدين الأخيرين من القرن الماضي.

من هنا فإن الحالة الطائفية مرشحة في عالمنا الإسلامي للانفجار دومًا طالما القرار السياسي، بيد من يهمهم الاستفادة من هذه الورقة، **ولايمكن أن نضمن ابتعاد أمتنا عن الصراع الطائفي إلا إذا كان القرار السياسي منحصرًا بيد قيادات وطنية مرتفعة إلى مستوى الأهداف الإسلامية الكبرى.**

٢- لعلماء الأمة دور كبير في مواجهة الحالة الطائفية وتحويلها إلى حالة تقريب وتفاهم، شرط أن يتحرر العلماء من أية مؤثرات خارجية، وشرط أن ينفتحوا على الأهداف الكبرى ويتفهموا ضخامة التحديات، والقرن الماضي أثبت هذه الحقيقة على صعيد الإثارات الطائفية وعلى صعيد التقريب.

٣- الحالة الطائفية حالة عشائرية قبل أن تكون مسألة عقائدية أو فقهية . يتبين ذلك من ظواهر كثيرة: منها أن الصراع الطائفي يدور غالبًا بين أناس لا يعرفون من المذهب سوى الانتماء إلى العشيرة السنية أو العشيرة الشيعية!. وهذا ماشاهدناه في بعض البلدان العربية والآسيوية في القرن الماضي، والحالة العشائرية ناتجة عن تخلف حضاري، من هنا فإن أمتنا بحاجة إلى تنشيط مسيرتها الحضارية؛ للتغلب على هذه الحالة الطائفية العشائرية.

٤- **إن تفعيل المسيرة الحضارية يتوقف على إحساسنا بالعزّة. فمتى كانت الأجواء السياسية والاجتماعية والاقتصادية تبعث على الشعور بالعزة في النفوس تحركت الأمة على طريق الخلق والإبداع والتطوير، ومتى خيم عليها الذل توقفت مسيرة إبداعها واتجهت الى الانقسامات والصراعات**، ولو أخذنا الساحة المصرية مثالاً لرأينا شيئًا من الإحساس بالعزة يسود الساحة بعد طرد نابليون في القرن التاسع عشر، وفي أيام عبد الناصر في القرن العشرين، وصاحب الحالتين حركة لولا أن أصابها ما أصابها لتغيرت حالة العالم العربي والإسلامي جميعًا. و إنما ذكرت ضرورة تفعيل المسيرة الحضارية وسيادة حالة العزة لارتباطها بالحالة الطائفية كما ذكرت.

٥- طرح المشروع الإسلامي الكبير للحياة يساهم بشكل غير مباشر على إزالة الحالة الطائفية في العالم الإسلامي، وبودي هنا أن أذكر أن **مركز الحضارة للدراسات السياسية** في القاهرة ـ على سبيل المثال ـ له مثل هذه المساهمة؛ لأنه يطرح المشروع الإسلامي الذي

يجمع على صعيده الكبير المسلمين بكل مذاهبهم، ويشد أنظارهم جميعًا إلى هدف كبير ينتشلهم من الوقوع في مستنقع الصغائر، **ومن قبل شاهدنا عالمًا شيعيًا هو السيد محمد باقر الصدر يصدر كتاب *فلسفتنا* وكتاب *اقتصادنا*، ولا يتناول فيهما أية قضية خلافية بين السنة والشيعة، ولكن الكتابين كان لهما الأثر الكبير في تقليص الحالة الطائفية، وتصعيد الحالة الإسلامية الرسالية المتعالية على الخلافات المذهبية**، ولا يخفى ما كان للثورة الإسلامية في إيران قبل محاصرتها إعلاميا من تأثير على وحدة الصف الإسلامي.. من هنا فإن تقديم المشروع الإسلامي الكامل للكون والحياة بلغة العصر وبمستوى احتياجات العصر. له الدور الكبير في التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٦- إن مشروع «إسلام بلا مذاهب» إضافة إلى استحالته لا يخدم التراث الإسلامي، فالمذاهب إذا أخذناها بالمنظار العلمي يشكل كل منها جهدًا اجتهاديًا عمل على تنظيره وإثرائه المتكلمون والفقهاء والمفسرون والفلاسفة، ولا فائدة من مصادرة كل هذه الجهود العلمية الجبارة. من هنا لابد أن يفكر دعاة الوحدة والتقريب في التفاهم والتعارف بين أصحاب المذاهب ويركزوا على المشتركات، ويجعلوا العلم ديدنهم والحقيقة هدفهم والحوار سبيلهم، وبذلك تتحول المذاهب من حالة طائفية عشائرية إلى مدارس علمية كل منها يثري التراث ويشكل إضافة علمية للمسيرة . لذلك لابد من الاهتمام بمراكز الأبحاث والدراسات المقارنة.

٧- ظهرت في أواخر القرن الماضي على الساحة السياسية العالمية والإسلامية ظواهر تبشر بخير لمستقبل وحدة الأمة الإسلامية.. فمن جهة قدمت أوروبا ذات التاريخ الغارق بالحروب والدماء والصراع بين دولها نموذجًا جيدًا وناجحًا في «الاتحاد» يستطيع أن يجيب على كل أسئلة التشكيك في إمكان وحدة العالم الإسلامي. ودخل العالم في عصر التكتلات الدولية التي تفرض على العالم الإسلامي نوعًا من التلاحم والتعاضد، من هنا ازداد الحديث عن ضرورة تفعيل منظمة التعاون الإسلامي والسوق الإسلامية المشتركة والتعاون الثقافي والإعلامي الإسلامي.

كما أن التحديات المشهودة في فلسطين والعراق وأفغانستان وبقاع أخرى من عالمنا الإسلامي، وظاهرة الانفراد بالهيمنة العالمية فرضت الحد الأقل من التفاهم والتعاون، ولابد أن يتواصل ويستمر و إلا تحول إلى مزيد من التمزق والتشتت.

وهذه الصحوة الإسلامية التي بدأت بتونس وتواصلت في مصر وليبيا واليمن والبحرين تبشّر بكل خير، وستثمر عن «حياة» الأمة الإسلامية إذا سلمت هذه الصحوة من الاختراقات ومن تغيير اتجاه البوصلة.

ولا يخفى ما لسيادة أجواء التفاهم على الساحة السياسية من أثر على الحالة الطائفية في العالم الإسلامي. ولا أدل على ذلك مما شاهدناها عقب بعض محاولات التنقية في الأجواء السياسية الإسلامية من تحول في الساحة الثقافية والعلمية والشعبية.

٨- إن ظاهرة الحوار التي سادت في أواخر القرن الماضي كان لها تأثير كبير في تقليص حالة التشرذم. وقد شهدنا نشاطًا ملحوظًا في حقل الحوار القومي ـ الإسلامي، والإسلامي ـ الإسلامي، والعربي ـ الإيراني، وحوار الحضارات، وكلها تنصب في خدمة تذويب الحالة الطائفية العشائرية في عالمنا الإسلامي.

سيكون التحدي الطائفي في القرن الواحد والعشرين دون شك كبيرًا؛ بسبب استفحال قوة الهيمنة العالمية واهتمامها بالورقة الطائفية حسب توصيات «هنتنجتون» ، لكن عوامل مواجهة التحدي من الكثرة والقوة في عالمنا الإسلامي بحيث إنها قادرة ـ لو أحسنّا استعمالها ـ أن تتغلب على كل هذه التحديات وتسجل مستقبلال أفضل للعالم الإسلامي.

إنّ إرادة الله سبحانه شاءت لهذه الشعوب أن تستيقظ. فقد حلّ قرن الإسلام وعصر الشعوب، وسيكون له التأثير على مصير كل البشرية. أما كان تدفّق الشباب والمثقفين في واشنطن ولندن ومدريد وروما وأثِنا بإلهام من ميدان التحرير؟!

الإمام الخامنئي

وحدة الأمة
في خطاب الشهيد مطهري

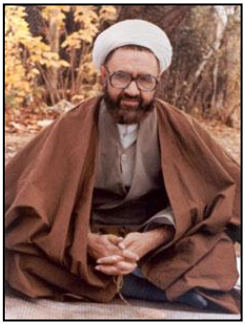

قضية تقارب المذاهب الإسلامية ووحدة الأمة تحتلّ مساحة كبيرة من نشاطات الشهد مطهري الفكرية والدعوية والعملية. وهذه ظاهرة طبيعية في رجل يحمل همّ إحياء الأمة.

باختصار نذكر أهم محاور خطاب مطهري في هذا المجال.

المحور الأول: اهتمامه بخطاب الوحدة في القرآن الكريم، ويكرر في أحاديثه آيات من كتاب الله تؤكد على وحدة الصف الإسلامي مثل قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾، وقوله: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾..

ويذكر الآية الكريمة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ﴾ ويرى أن الدعوة في الآية إلى مطلق الخير، وأن أهم الخير الدعوة إلى الوحدة الإسلامية[1].

١- مطهري، *يادداشتهاي استاد مطهري* (فارسي) ٧/ ٤١٨ - ٤١٩.

المحورالثاني: سرد سيرة النبي والإمام علي في المحافظة على وحدة الأمة. بشأن سيرة النبي(ص) يذكراهتمام الرسول بعقد الأخوة بين المهاجرين والأنصار، حتى كانوا لأمد يتوارثون.

ثم يطيل الحديث في سيرة أميرالمؤمنين علي(ع) في هذا الإطار، ذلك لأن مخاطبيه عادة هم الشيعة، يريد بذلك أن يقول لهم إذا كنتم شيعة علي حقًا فعليكم أن تكونوا أكثرمن غيركم اهتمامًا بوحدة الأمة، رادًا بذلك على الفئة التي تتخذ من الولاء لآل البيت مدخلاً للتفرقة بين المسلمين.

وفي سيرة علي (ع) يركزعلى موقفه من الخلفاء لحفظ وحدة الأمة، وتعامله بإخلاص معهم لصيانة الإسلام والمجتمع الإسلامي، من ذلك نصيحته للخليفة الثاني أن لا يخرج مع الجيش في فتح إيران خشية أن يسبب قتله في تجرّؤ العدوّ وفي تصعيد معنويات الجيش المعادي.

ويشيرأيضًا إلى موقف أبي سفيان الذي حرّض عليا(ع) لأن يثور على بيعة أبي بكرمتظاهرًا بأنه يؤمن بأحقية علي في الخلافة، و إلى موقف عليّ(ع) في رفض هذا التحريض بشكل حاسم، مؤكدًا اهتمامه بسلامة الإسلام.

بعد ذلك يقول الأستاذ الشهيد: «**يبدوأن يد أمثال أبي سفيان لا تزال تعبث للتفرقة بين المسلمين متظاهرة بالولاء لآل البيت**»!! ويحذّرمن هذه الأيدي مؤكدًا ضرورة وضع سيرة علي(ع) نصب العين لدفع شرّهؤلاء المفرقين»[1].

١- مطهري، *امامت ورهبري*(فارسي) / ١٨ - ٢٠.

وفي كتابه *سيرى درنهج البلاغة* يركز على موقف علي(ع) من وحدة الأمة، وما قدمه على هذا الطريق من تضحيات. ولا بأس أن أنقل عنه عبارة تنبئ عن مواجهة في عصره بين التقريبيين الإحيائيين والمفرقين المتحجرين يقول:

«علي أصبح فداء للوحدة الإسلامية، أي شخص كان بقدر علي في احترام الوحدة؟ الآخرون كانوا يقطعون وهو كان يوصل.

(من المؤسف) أن رجلاً اليوم يصعد المنبر ليقول: كنت بحمد الله منذ بداية حياتي معارضًا للوحدة الإسلامية!! لا كثّر من أمثالك في هذا المجتمع يا رجل!! ألم تسمع قوله تعالى ... »[1] ثم يذكر الآيات الداعية إلى الوحدة ونبذ الاختلاف.

المحور الثالث: محور بيان طبيعة الدعوة الإسلامية، وهو ما يؤكد عليه الأستاذ الشهيد في كتاباته ومحاضراته بسبب شيوع الخطاب القومي والطائفي في عصره، فيفصّل القول في عالمية الإسلام، ويعرض موقف القرآن والسيرة من الأطر القومية والعشائرية وأي إطار آخر يفصل بين المسلمين.

يستعرض الخطاب الغربي الموجّه إلى الإيرانيين بشأن الدين الإسلامي.. وهو خطاب يزعم أن الإسلام غريب على الإيرانيين ولا يرتبط بهم لا قوميًا ولا لغويًا ولا ثقافيًا، ويردّ على ذلك في كثير من كتبه مؤكدًا على عالمية الدعوة الإسلامية وأسسها الإنسانية،

١- مطهري مجموعه *آثار* (فارسي) ٢٥/ ٣٠٧.

ومشيرًا إلى **أن المسيحية التي يعتنقها الغرب هي دعوة انبثقت من أرض فلسطين فهل يمكن اعتبارها غربية عليهم؟!**

ثم يستعرض الأسس التي يقوم عليها الإسلام في تقويم الإنسان من القرآن: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ومن السنة: «يا معشر قريش إن حَسَب الرجل دينه ومروءته خُلُقه، وأصله عقله» و«ألا إن العربية ليست بأبٍ والد ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغ به حَسَبُه»[1].

المحور الرابع: الحج ووحدة المسلمين. خصص الأستاذ الشهيد كتابًا للحديث عن الحج وكله يدور حول دور الحج في ترسيخ وحدة المسلمين، والمعاني التي تنطوي عليها مناسك الحج من توحيد للصفوف وتأليف للقلوب و إزالة للفوارق القومية والمذهبية والطبقية.

ويرى أن سنّة الرسول(ص) تقتضي تكريس كل شيء في الحج على طريق وحدة المسلمين، واستشعار روح الأخوة بينهم. إذ إن رسول الله(ص) قد استثمر هذا الموسم ليعلن قائلاً: «**أيها الناس إنّ ربكم واحد وأباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عندالله أتقاكم. وليس لعربيّ على عجمي فضل الا بالتقوى**» (تحف العقول/ ٣٤).

ويذكر عن علي(ع) قوله عن الحج: «جعله سبحانه وتعالى للإسلام علمًا» (نهج البلاغة/ الخطبة١).

ويذكر معنى العلم بأنه الراية التي يجتمع حولها المدافعون عن

١- انظر مطهري *خدمات متقابل إيران و إسلام* (فارسي) ص ٦٢ - ٦٩.

حياض الأمة، وهي ترمز إلى حياة الجماعة وبقائها وقدرتها ومقاومتها. والعكس من ذلك إذا انتكست الراية فإنها تدل على السقوط والاندحار.

وينقل عن الإمام الصادق قوله عن الحج أيضًا: «**فجعل فيهم الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا**». ويشرح المناسك واحدًا واحدًا مبينًا أنها جميعًا تنطوي على معنى ترسيخ مفهوم الجماعة والأمة الواحدة في الإسلام[1].

المحور الخامس: رفض مقولة «إما تقبل كل ما عندي أو ترفض كل ما عندي». هذه هي عبارة الأستاذ الشهيد، وهي تعبير آخر عن مقولة: لنتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

ينقل رأي المعارضين لوحدة المسلمين حيث يقولون إن الوحدة تعني التنازل عن المعتقدات، وهم بذلك يخلطون بين توحيد المذاهب ووحدة الأمة في الإطار الإسلامي. **ويوضّح أن الوحدة تعني التعاون في حقل المشتركات وهي كثيرة للغاية، ويبقى كل مذهب محتفظًا بآرائه الخاصة**. ويورد أمثلة من سيرة علي وآل عليّ، فهم وإن كانوا يحملون رؤيتهم الخاصة، غير أن ذلك لم يمنعهم من أن يقولوا: «**والله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة**» (نهج البلاغة/ ٧٢). ويذكر لعليّ (ع) أيضًا قوله: «**من استحكمت لي فيه (في شخص) خصلة من خصال الخير احتملته عليها واغتفرت ما سواها ولا أغتفر فقدَ عقل ولا دين**».

١- انظر مطهري، *الحج* (بالفارسية)، ص ص ٦٧، ٦٨، ٧٩، ٨٠، ٨١.

حاول الأستاذ الشهيد في مشروعه الفكري أن يرسّخ فكرة وحدة النفوس الإنسانية الإلهية ويدعو دائمًا إلى تبديل (أنا) إلى (نحن) ويرى أن هذا التبديل هو واحد من أهداف المصلحين الكبار عبرالتاريخ. ويغوص في بحارالتاريخ والأدب ليستخرج منها ما يؤيد كلامه ويجعله مؤثرًا في النفوس. يستشهد في هذا الموضوع بمولانا جلال الدين الرومي الذي يقوم عرفانه على أساس توحيد النفوس وإزالة ما يمنع التقاءها على الحبّ والوداد. من ذلك قوله:

جان گرگان وسگان ازهم جداست

متحد جانهاي شيران خداست

أي: إن نفوس الذئاب والكلاب متفرّقه/ بينما تتحد أرواح أسود الله.

همچوآن يك نورخورشيد سما

صد بود نسبت به صحن خانه‌ها

أي: مثل نورالشمس الواحدة في السماء/ تصبح مائة عندما تتفرق في صحن البيوت

ليك يك باشد همه أنوارشان

چون كه برگيري تو ديوارازميان

لكنّ أنوار(هذه البيوت) تصبح واحدة/ عندما تزيل الجدران بينها [1].

١- مطهري *آشنايي با قرآن* (بالفارسية) ١٨/٥ - ٢٩.

المحورالسادس ـ العواطف الإنسانية والوحدة: يرى الأستاذ الشهيد أن الإنسان بذاته يتجه إلى النزعة الفردية، وهذه النزعة الفردية تصطدم عادة بالنزعات الفردية للآخرين، ويحدث الصراع بين الأفراد. غيرأن ثمة عوامل أخرى قد تأتي وتفضّ هذا الصراع، وهذه العوامل إما أن تكون «مصلحية» أو «رسالية».

العوامل المصلحية تجمع الفرقاء في تعاون تجاري أو اقتصادي فيرى كل واحد من الشركاء أن مصلحته مرتبطة بمصلحة غيره من الشركاء عندئذ يتعاونون في إطارتحقيق هذه المصلحة، وهذا يمكن أن نطلق عليه اسم «تعاون» لا «تآلف».

التآلف يأتي من اجتماع الناس على مصلحة رسالية مثل مصلحة الوطن والقوم، غيرأن التاريخ لم يشهد مصلحة رسالية تجمع الأفراد وتؤلف بين قلوبهم كالمشروع الديني.

ثم يذكرالأستاذ الشهيد أمثلة من تآلف المسلمين في ظل الرسالة الإسلامية في عصرها الأول، وينقل نصوصًا من سيرة الصحابة ومن سيرة الإمام علي تبين قدرة الدين على رفع مستوى هموم الناس إلى مستوى حمل هموم الأمة حتى بلغ بالإمام علي(ع) إلى أن يقول:

«أو أبيت مبطانًا وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تعيش ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القدّ»

(نهج البلاغة، الرسالة ٤٥).

وتأكيد القرآن على هذه الألفة بين القلوب تبينها آيات متعدّدة

وتبين أهميتها كقوله سبحانه: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا..﴾ وقوله: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

المحورالسابع: الوحدة والحياة: في هذا المحور يتجه الأستاذ الشهيد نحو فهم حضاري للوحدة، فهو يرى أن الإسلام مهمته الإحياء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ويرى أن طبيعة الجسم الحي أن يكون متواصلاً متواسيًا مرتبطًا ارتباطًا عضويًا. وفي ذلك يقول الرسول(ص): «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرالجسد بالسهروالحمّى**». (الجامع الصغير٢/١٥٥).

يقول في كتابه: *احياي تفكراسلامي*: «إحدى علامات الحياة في المجتمع أن يقوى التضامن بين أفراده، خصائص الموت أن تتلاشى الأعضاء وتتفرق وتنفصل عن بعضها، وخاصية الحياة في المجتمع التضامن والاتحاد بين أكثرأعضائه وجوارحه. وهل المجتمع الإسلامي اليوم مجتمعًا حيًّا أم ميتًا؟ بسبب ما نراه بين المسلمين اليوم من نزاعات، وما ينشغلون به من حروب وصراعات داخلية، وما يوفرونه للعدوّ من فرص للسيطرة على مقدراتهم. فهم أموات»!![2].

المحورالثامن: العشق والوحدة: «العشق بغضّ النظرعن نوعه

١- مطهري، *آشنايي با قرآن* (فارسي) ٣/ ١٦٦ - ١٧١.

٢- ص ٢٣ و ٢٤ من الكتاب.

أهو غريزي أم روحي يُخرج الإنسان من دائرة ذاتياته. الذاتية سجن وحصار، وعشق الغير يكسر هذا الحصار.

الإنسان القابع في ذاته الذي لا يحمل مشاعر حبّ لغيره إنما هو إنسان جبان بخيل متكبر قاسي القلب مغرور ليس في روحه أية إضاءة ولمعان. و إذا دخل العشق يغيّر جوهر الإنسان ويجعله فردًا رقيقًا ذكيًا وثّابًا، كما يقول المولوي:

ازمحبت تلخها شيرين شود ازمحبت مسها زرين شود

أي: من المحبّة يصبح كل مرّ حلوًا/ ومن المحبّة يصبح النحاس ذهبًا[1].

ومن هذه النظرة ينطلق الأستاذ الشهيد في فهم العلاقة بين الرجل والمرأة، فهي ليست علاقة شهوية محضة، إذ إن هذه العلاقة تكرّس الذاتية، بل هي أسمى من ذلك فهي علاقة ودّ ورحمة وسَكَن كما يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2].

ويخلص الأستاذ الشهيد من هذا المحور **أنّ هبوط عاطفة الحبّ والودّ في النفوس عامل تمزيق وتفتيت، بينما الحبّ يلين القلوب ويصقل العواطف ويهذّب الطباع ويجمع المتفرقين.**

المحور التاسع: العدل والإحسان والوحدة: يقف الأستاذ الشهيد عند قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي

١- مطهري، *يادداشتهاي شهيد مطهري* (بالفارسية) ٩/ ٢٧٨ - ٢٧٩.

٢- مطهري، *آشنايي با قرآن* (بالفارسية) ٦/٧٦ - ٧٨.

الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾

فيرى أن البشر بحسب عواطفهم الاجتماعية لهم ثلاث حالات: العدل أو الاحسان أو البغي.

بالعدل يتعامل الناس على أساس حفظ الحقوق، يحافظون على حقوقهم ولا يعتدون على حقوق الآخرين، وبالإحسان يتعامل الناس على أساس الإيثار، يتنازلون عن حقوقهم من أجل مصالح غيرهم، ينفقون من أموالهم وجاههم وراحتهم لمساعدة المحتاجين اليهم.

وبغير العدل والإحسان لا يكون إلاّ البغي. والبغي أن يعتدي الإنسان على حقوق الآخرين.

وبلهجة حادّة قاسية يقول الأستاذ الشهيد: «لو تطلعنا إلى مجتمعاتنا الإسلامية لرأينا التعامل السائد هو البغي. فمجتمعاتنا تضجّ بأذى الآخرين وكأننا مصابون بالساديّة!

ثمة كلام شائع يقول إن الغربيين ذوو عقل ومنطق ونحن الشرقيين ذوو عاطفة. كلاّ! لو كانت عندنا عاطفة اجتماعية لما كان بيننا هذه العلاقات المحتقنة وهذه الذاتيات المستفحلة. يكذب بعضنا على الآخر، ونتظاهر أحيانًا بالكرم فنقيم الولائم، لكننا لا نكفّ عن ظلم من تحت رعايتنا من زوجة واطفال ومستخدمين»[1].

ولعلّ هذه النبرة الحادّة تدلّ على أن الأستاذ الشهيد كان

١- مطهري *يادداشتهاي شهيد مطهري* (بالفارسية) ٤١٨/٧.

مستاءًا مما يراه في المجتمع من ازدواجية الشخصية ومن مظاهر تدلّ على نسيان الأهداف الإنسانية التي خلق الإنسان من أجلها.

وكيف لا يتألم ولا يثوروهو الإحيائي الذي يريد أن يعيش الناس لأهداف أكبر من مصالحهم الشخصية .. لأهداف توحّدهم وترفعهم وتبارك لهم عمرهم وتزكّيه!!

استنتاج

من الاقتران المشهود بين الدعوة إلى الإحياء والدعوة إلى الوحدة والانسجام الإسلامي يتضح لنا أن مشروع الإحياء يجمع بين العودة إلى الجذوربمعنى «الأصالة» لا بمعنى التحجّر، والشهيد مطهّري نموذج من دعاة الأصالة ومحاربة التحجّر، وفيما عرضناه يتبين كيف كان يواجه المتحجّرين المعارضين للوحدة في زمانه.. وبين «تجاوزالماضي» بمعنى «المعاصرة» لا بمعنى الالتقاط والهزيمة النفسية أمام الأفكارالوافدة. وموقف الشهيد مطهري من الفكر العالمي المعاصر، ومن اهتمامه بتقديم الإسلام بلغة العصروبمستوى احتياجات العصرتوضّح معاصرته الرسالية المتلزمة.. وهو بعد ذلك من أكبردعاة الوحدة و إزالة الخلافات بين السنة والشيعة.

السلفية الواعية

وقفة عند أفكار الإمام الراحل

الشيخ محمد الغزالي

لقد مرّ التاريخُ الإسلامي بمعارك كلاميّة يقول عنها الشيخ الغزالي إننا «كنّا والله في غنى عنها، اختلقها الترف العقلي ونمّاها، وشُغلت بها الجماهير عن خير الدنيا والآخرة، وبقيت في كتب العقائد ذكريات مؤسفة.

وها قد سلخ من عمره المديد أربعة عشر قرنًا وعانت أمته أيامًا عصيبة لانطلاقها بغير قواها و إلى غير وجهتها».

وليس القلق «من كثرة المذاهب الفكرية في شؤون الأدب والحياة.. و إنما نكره التفرّق في المعتقد، والتحزب في أصول الديانة، ونؤثر دراسة العقائد من منهجها القرآني ونبعها النقي كما تدفّق به الوحي الأعلى، ونهض عليه سلفنا الصالحون».

وهذه هي السلفية الواعية التي تجمع ولا تفرّق ، غير أن أقوامًا نظروا إلى السلفية من منظارهم الضيّق، فجعلوا منها بداوة وتخلفًا وجمودًا. يقول الغزالي:

«والسلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معيّن.

إننا نرفض هذا الفهم ونأبى الانتماء إليه.

إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمق

ولاءها لكتاب الله وسنَّة رسوله، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظرإلى عرق أو لون.

وفهمها للإسلام وعملها له يرتفعان إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل.

وقد رأيت أناسًا يفهمون السلفية على أنها فقه أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وهذا خطأ.. ففقه أحمد أحد الخطوط الفكرية في الثقافة الإسلامية التي تسع أئمة الأمصاروغيرهم مهما كثروا.

ورأيت ناسًا يفهمون السلفية على أنها مدرسة النص، وهذا خطأ فإن مدرسة الرأي كمدرسة الأثرفي أخذها من الإسلام واعتمادها عليه.

وقد كان من هؤلاء من تسمّوا أخيرًا بأهل الحديث، وسيطرت عليهم أفكارقاصرة في فهم الأخبارالمروية، وأحدثوا في الحرم فتنة منكورة.

والحديث النبوي ليس حكرًا على طائفة بعينها من المسلمين، بل إنه مصدررئيسي للفقه المذهبي كله.

ورأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها، ويرفضون الحديث في التليفزيون مثلاًلأن ظهورالصورة على الشاشة حرام، ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية وغيرها بالهزء والإنكار، وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد.

ورأيت ناسًا يتبعون الأعنت الأعنت، والأغلظ الأغلظ، من كل رأي قيل، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم وينغّص معايشهم، ويؤخرمسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة. وهؤلاء أيضا لا سلف ولا خلف. إنهم أناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتل الضميروالتفكير.

ورأيت ناسًا يتبعون إلغاء الرقيق بعيون كئيبة! قلت لهم: إلا تعرفون أن هؤلاء العبيد هم أحرارأولاد أحراراختطفتهم عصابات النخاسة من أقطارهم، وباعتهم كفرانًا وعدوانًا ليكونوا لكم خدمًا، وهم في الحقيقة سادة؟!

ما السلفية التي تقرهذا البلاء؟ وما هؤلاء العلماء الذين ضاقوا بسياسة الملك فيصل في تحريرهم ، و إلغاء بيعهم وشرائهم؟ إن الرجل الشهيد أولى بالله منهم.

ورأيت ناسًا يقولون: إن آية: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا﴾ (البقرة/١٩٠) مرحلية.

فإذا أمكنتنا اليد! لم نبق على أحد من الكافرين.

قلت: ما هذه سلفية. هذا فكرقطاع طرق لاأصحاب دعوة شريفة حصيفة، وأولئك لا يؤمَنون على تدريس الإسلام لجماعة من التلامذة بله أن يقدَّموا في المحافل الدولية والمجامع الدولية.

إن العالم الإسلامي الآن متخلّف حضاريًا، ومضطرب أخلاقيًا واجتماعيًا وسياسيًا، وبينه وبين الأمم القائدة الصاعدة أمد بعيد.

هذه الأمم تعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وتفتقرإلى جيل من البشريذكرها بالله ولقائه.

والإسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهادية. ولكي تؤدي أمته رسالتها يجب عليها أمران:

الأول: أن تطوى مسافة التخلف الحضاري، والاضطراب الإنساني الذي يشينها ولا يزينها.

والثاني: أن تتقدم بشرف وكياسة لتقول للناس كلهم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء/ ١٧٤).

ولكي ننجح في عملنا يجب أن نقتفي آثارسلفنا.

والسلفية هنا عنوان كبيرلحقيقة كبيرة أساسها العقل الحر المكتشف الدؤوب.

إن هذا العقل عندما رغب عن البحث في الذات العليا وحقيقة الصفات، كان يحترم نفسه عندما توقف. والعلم المعاصرنجح أيما نجاح عندما بحث في المادة التي بين يديه ولم يبحث في ربها - سبحانه -فأنى له البحث فيما لا يملك ولا يقدر؟!

من أجل ذلك نرفض النظريات الكلامية، ونقبل المذاهب الفقهية، ونضع الشبكة القانونية التي يتطلبها انتقال الحياة من طور إلى طور.

من أجل ذلك نهشّ للتقدم العلمي ونطوّعه لنصرة مبادئنا ومُثُلنا.

ومن أجل ذلك نرى ضرورة إزاحة البله وذوي العقد النفسية من قيادة الفكرالديني، فإنهم غشاوات على البصائر، وحجب على الضمائر.

إننا محتاجون إلى فقهاء يستطيعون النظرفي سياسة المال

والحكم، ويرفضون أن يسبقهم الإلحاد إلى اجتذاب الشعوب الفقيرة في هذه الميادين الخطيرة. ومحتاجون إلى فقهاء يهيمنون على شؤون التربية والإعلام برحابة الإسلام وبشاشته لا بالتزمت والتكلف.

إن الفقه الإسلامي كما قدمه سلفنا حضارة معجزة، أما الفقه الإسلامي كما يقدمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيى»[1].

انشغال عن عظائم الأمور

الانشغال بالجزئيات والاستغراق فيها ينسي الفرد والجماعة مهامها الكبرى، وهو خطر مابعده خطر، وهذه الظاهرة بارزة بين المتدينين في عالمنا الإسلامي مع الأسف. يقول الشيخ الغزالي: «ولم أر أناسًا حبستهم الجزئيات وغلبتهم على رشدهم مثل صرعى التعصّب المذهبي عندنا.

وأظنّ السبب في ذلك أسلوب تعليم العوام. إن المدرّس يقول في ثقة: حكم الله كذا في هذه القضية، رأي الدين كذا في ذلك الموضوع.. فيظنّ المستمع أن ما سمع هو حكم الله ورسوله.

وما ينبغي أن يُذكر حكم بهذا الجزم إلا ما قُطع به، أما الاجتهادات المذهبية فينبغي أن يقول المفتي: أرى الحكم كذا، أو الحكم عندنا كذا، أو صحّ الدليل لدينا بكذا، ويترك مجالاً للرأي الآخر فلا يحرمه من الانتماء إلى الإسلام.

---

١ - الغزالي، مصدر مذكور، ص ٩٢ - ٩٣.

وعلى الأتباع أن يستبينوا قيمة مايؤدون وما يدعون، فلا يظنوا الإسلام حكرًا على مسالكهم وحدها. واختيار المسلم لمذهب ما، لا يجوز أن يتحول إلى لجاجة ومغاضبة، فإن ذلك يُفسد النية ويمزق الأمة ويوهي الصلة بالله سبحانه وتعالى.

والموضوع كله لا مكان فيه لمكابرة واستطالة، إنه أهون من ذلك كثيرًا.

سألني صيدلي عن حكم من أدرك الإمام راكعًا ولم يقرأ الفاتحة، أتسقط الركعة عنه أم يعيدها؟

قلت: الجمهور على سقوط الركعة عنه، وهناك من يرى قضاءها، فاختر لنفسك ما يحلو.

قال: أعرف ذلك ولكن أريد مناقشة من يرى عدم قضاء الركعة..!

قلت له: ما جدوى ذلك عليك؟ ولماذا تتكلف ما لا تحسن وتترك ما تحسن..؟ قال : ما معنى ماتقول؟

قلت: أنت صيدلي، وجميع الأدوية في دكانك من صنع الصهيونيين أو الصليبيين أو الشيوعيين، فإذا تركت أنت وزملاؤك هذا الميدان، ميدان صناعة الدواء، واشتغلت باللغو، أفتحسب ذلك يرفعك عند الله وعند الناس؟ إنك للأسف تسهم في سقوط الأمة وتجعلها غير جديرة بالحياة.

قال: إنني أبحث في حكم شرعي ولا أشتغل باللغو.

قلت: الحكم الشرعي كما قرره أهل الذكر بين أمرين، خذ منهما ماشئت، ولا يجوز أن تحوّل الموضوع إلى لبان يمضغه الفارغون.

إن كل ما يصرفك عن ميدان الدواء هو في حقيقته عبث أو عيب أو ذنب تؤاخذ به.

أما أن تؤلف رابطة عنوانها «جماعة من يقضون الركعة إذا لم تقرأ الفاتحة» فهذا سخف. ما قيمة هذا الرأي أو ذاك حتى يحشّى به عقول الناس؟

إن المسلمين المعاصرين نسوا ضياع التركستان والقرم، ولم ينسوا الخلاف على الجهربالبسملة أول الفاتحة.

لحساب من تستثارالمشاعرالمشبوبة وراء رأي فقهي؟ إن كان خطأ أو صوابًا، فهو مأجور. وماذا يبقى من مشاعرالناس بإزاء العقائد الأولى، والوحدة الجامعة، والتماسك في وجه أعداء لاينامون حتى يقضوا علينا..؟

إن التعصب لرأى أحد الفقهاء غباء، اعمل به إن شئت، ولا تستحمق إذا رأيت غيرك يعمل بضده.

و إذا وجد مجال لبحث وجوه النظروقيم الأدلة ـ لمن يقدرون على ذلك ـ فلا حرج! ثم يصير كل إلى ما يرى. **إنني استيقنت من أن التعصب الشديد لمسألة ثانوية يتم على على حساب الدماء والأموال والأعراض وكرامة الأمة وحياتها.**

وأذكر صحفيًا ممن شهدوا القبض على الجماعة التي احتلت الحرم المكي هذه السنة[1]، قال لي: عندما أخذنا صورًا لهم رأيت بعضهم يتململ، فقلت له: مالك؟ قال لا تصورونا فالتصوير حرام!

---

١ - ويقصد سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

قلت لـه: تـرى أن التصـويرحـرام، وقتـل الأبريـاء فـي المسـجد وامتهان قداسته مباحان!!

هذه هي عقلية المتشبثين ببعض الأفكاروالفتاوى، وذلك مبلغهم من العلم، يعمون عن العظائم ولا يرون إلا ما يضخمون من وجهات نظر، قد يكون خطؤها أجلى من صوابها.

ذلـك وقـد ظهـرنـوع آخـرمـن التعصـب! جماعـة يتسـمون أهـل الحديث، يفهم أحدهم في الخبرالمروي فهمًا معينًا، فإذا خالفته في فهمه اتهمك بأنك تخالف السنَّة، أو تخاصم الرسول(ص)، وهذا بلاء جديد شديد [1].

آفة المتعصبين

يظهرأن الشيخ الغزالي عانى كثيرًا من التعصّب، وواجهه بكل شجاعة، واكتوى بناره، وراح يفكّرمليًا في حالة المتعصبين، فخرج بما يلي، يقول:

«لقيت متعصبين كثيرين، ودرست عن كثب أحوالهم النفسية والفكرية، فوجدت آفتين تفتكان بهم:

الأولى: العجزالعلمي، أو قلة المعرفة! هؤلاء يحفظون نصًا وينسون آخر، أو يفهمون دلالة للكلام هنا، ويجهلون أخرى، وهم يحسبون ما أدركوه الدين كلّه.

ولو أن هؤلاء اكتفوا بمنزلة المتعلم التابع ما عابهم ذلك كثيرًا،

---

١ - الغزالي، مصدرمذكورص ٧٧ ـ٧٩ .

فليس كل مسلم مطالبًا بمعرفة جميع الأقوال الواردة والدلالات المحتملة.

المصيبة أن يشتغلوا مفتين أو موجهين، وهم بهذا المستوى الهابط!...

والآفة الثانية في التعصب المذهبي: سوء النية، ووجود أمراض نفسية دفينة وراء السلوك الإنساني المعوج، ويغلب أن تكون آفات الظهوروالاستعلاء أورذائل القسوة والتسلط. كنت في مجلس قرآن ختم القارئ فيه التلاوة بقوله: صدق الله العظيم. فإذا جالس ينتفض كأنما لسعته عقرب يقول: هذه بدعة.. قلت له: لاأبحث معك أنها بدعة أو سنّة، و إنّما أسالك: ما هذا الفزع؟ لكأنما سقط على رأسك حجر!! الأمرما يعالج بهذه العاصفة . إجلس.

هذا الصنف من الناس لم يهذّب نفسه بالأخلاق التي بُعث بها صاحب الرسالة ليتمّم مكارمها.. إن صورالعبادة عنده غطاء لقلب غليظ، وغرائزفجّة.

وهو يجد متعة في قضايا الخلاف ليثورويفور، وظاهرالأمر الغضب للدين، وهو في الحقيقة ينفّس عن طبيعة معتلّة، وتربية ناقصة أو مفقودة»[1].

مرضى القلوب

حين تحدّث الغزالي عن آفة المتعصبين لخصها في آفة العجز العلمي وآفة سوء النية، الأولى: علمية، والثانية: نفسية. والواقع أن

---

١ - الغزالي، مصدرمذكورص ٧٤ ـ٧٥.

الرجل يهتم بالعامل النفسي أكثر، وهذه هي النقطة البارزة في مشروع الشيخ. يخصص فصلاً للانحرافات النفسية والبدنية، ويرى أن الانحرافات النفسية أخطر من البدنية، فالمعاصي البدنية «شهوات محددة الخطر ـ على قبحها وسوء مغبتها ـ فالإسراف في الطعام مثلاً، يسلب المرء عفّته. وربّما كان للبدن تطلّعات أشدّ ضراوة، ومع ذلك فهو أدنى من جنون العظمة أو عبادة الذات التي تقود إلى الفرعنة وقسوة القلب و إهلاك الحرث والنسل في سبيل المجد الشخصي!!».

«والاغترار بالنفس أو الدوران حول الذات لا يبدو في طلب الرياسة بالأساليب القذرة وحسب، كلاّ إنه قد يبدو في تنقّص رجل معروف أو اعتناق رأي شاذ، أو المكابرة في حوار، أو ما شابه ذلك من مواقف لأناس يعملون في الميدان الديني أو الميدان المدني على سواء...».

«وفي ميدان التدين تعتبر الطاعات التي يقوم بها هؤلاء ستارًا لنيات مغشوشة أو ترجمة معكوسة لما يكمن في عقولهم الباطنة..».

«وهؤلاء المرضى بالشذوذ والحقد يكثرون من التلاوة وصور العبادة، وينتهزون الفرص التي تتنفس فيها طباعهم فيضربون ضربتهم، وقد كانوا كثرًا في جيش علي بن أبي طالب، ولكنهم شغلوا عليًا عن هدفه حتى انهزم، وكانت صيحتهم: لا حكم إلا لله! وكان تعليق علي: «كلمة حق أريد بها باطل»!! إنّ المتدينين من هذا الصنف الغاش بلاء على الدين وعقبة أمام امتداده».

ويظهر أن الشيخ الغزالي مثله مثل كل الدعاة المخلصين قد عانى من مرضى النفوس كثيرًا، ولذلك فإنه يحاول أن يبحث عن جذور هذا المرض. يقول: «**لقد عناني من أمر العلل النفسية أو معاصي القلوب لأني اكتويت بنارها، ورأيت من أدعياء التدين ما يدعو للجزع**» .

ويخاطب هؤلاء الأدعياء المتزمتين الذين يكيلون التهم للآخرين، ويدورون مع ذواتهم أينما دارت بلغة غاضبة فيقول: «**ونحن نعرف أن آباءكم قتلوا عليًا باسم الدفاع عن الوحدة الإسلامية، وقتلوا عثمان باسم الدفاع عن النزاهة الإسلامية، وقتلوا عمر باسم الدفاع عن العدالة الإسلامية، فيا أولاد الأفاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ويجاهدون لنصرته؟! ولحساب مَن تكنّون هذه الضغائن عليهم، وتسعون جاهدين للإيقاع بهم وتحريش السلطات عليهم..؟!**».

ويقول أيضًا في لغة حادّة: «وهؤلاء المرضى المعتوهون يفهمون في المرويات فهمًا ما، ثم يقولون: هذا هو النص! ما نراه نحن هو رأي الله ورسوله، أي حكم الله ورسوله!

ومعنى ذلك أنك حين تقاومهم تقاوم الإسلام نفسه وتحارب الله ورسوله. وهذا هو البلاء المبين.

ونقول جادين: إن الإسلام لن يحكم ولا يجوز أن يحكم إذا كان أولئك العميان قادة قافلته والمتحدثين باسمه، فإن أمراضكم النفسية والفكرية تمحق دين الله ودنيا الناس على سواء..

الإسلام نور وهؤلاء ظلمة، إنه طهر وهؤلاء قذى !!».

موقف الشيخ الغزالي من هؤلاء المرضى ليس ردّ فعل لما وجهوه

إليه من إساءات ، بل إنه يأتي في إطار حديثه عن «الوحدة الثقافية بين المسلمين» لأنّ «كثيرًا من الخصومات الفكرية القديمة في علم الكلام كان مظهرًا للعلل النفسية أكثر مما هو لخدمة الإسلام..».

أهمّ ما يجول حوله فكر الشيخ الغزالي بشأن سبب الانحرافات النفسية هو «**انعدام الإخلاص**». فالإخلاص «روح الدين وآية الصدق، وسياج العمل، وضمان قبوله في الدنيا والآخرة.. وهو عنصر نادر بين الناس، لأننا نقصد بالإخلاص تجريد القصد لله وحده، وابتغاء وجهه الكريم.. **وأغلب الناس يدورن حول أنفسهم فيما يعملون أو يتركون، وينشدون مصالحهم الخاصة، أو منافعهم العاجلة**».

لكن الشيخ حينما يقرأ عبارة تعنى بسبب الانحرافات النفسية يلتقطها، ويرتاح إليها، وينقلها في كتابه، مثل ما نقل عن مصطفى أمين قوله عن عامل الخوف وتأثيره في سلوك الأفراد إذ يقول: «عرفت جبناء يخافون من أشباحهم ويرتعدون رعبًا إذا رأوا فأرًا يجلس على كرسي، وتسيب مفاصلهم أمام غضب عمدة أو تهديد مأمور!

وعرفت شجعانًا تطول قامتهم أمام العواصف. يثبتون في مواجهة الأعاصير. يذهبون إلى الموت وكأنهم يذهبون إلى حفلة شاي!

وكنت ألاحظ دائمًا أن الجبان لا يؤمن إلا بنفسه. إلهه في داخله. يتعبد له ويصلّي له ولا يشرك به أبدًا. ولهذا فهو خائف على رزقه، وخائف على وظيفته، وخائف على حياته، خائف من كل شيء، لا يطمئن إلى شيء ولا يثق بشيء. ولهذا فهو يرى الجبن هو المخبأ الذي يتحصن فيه من أخطار الحياة!

ولم أرفي حياتي جبانًا وصل إلى المقدمة. لابد أن يتعلق بذيل صاحب سلطة، أو صاحب جاه. وهو ليست لديه الشجاعة أن يتقدم خطوة، فهو إذا قدّم ساقًا آخّرساقًا، ولهذا يبقى في مكانه طويلا، و إذا دفعته الأيام إلى الأمام عاش صغيرًا في المكان الكبير، ويتصرف كما يتصرف الصغار. يدس ولا يواجه. يضرب من الخلف ولا يقاتل من أمام. يهمس ولا يرفع صوتًا. لأنه أجبن من أن يعلن رأيه. وهو في أغلب الأحيان لا رأي له، فهو يقبل على الشمس إذا أشرقت ويدير لها ظهره إذا غربت.

وخوفه يجعله يتضاءل . ويرى خصومه يكبرون ويتعاظمون. ولو كان شجاعًا لرأى الناس بأحجامهم الحقيقية. وهو له قامة تساوى قامة الناس، ولكن في داخله دودة الجبن التي تجعله يحس أنه دودة صغيرة، ولهذا يتضاءل ويصغروينكمش.

والشجاع لا يخاف إلا الله. إذا حارب حارب في النور، و إذا آمن برأي أعلنه ولم يكتمه، و إذا اعتنق عقيدة قاتل من أجلها. والذين في قلوبهم الإيمان يشعرون بقوة هائلة، تقتحم الأهوال وتواجه الأعاصيروتحتمل المحن والخطوب. والإيمان يصنع من القزم عملاقًا، والجُبن يحوّل العملاق إلى قزم صغير! الإيمان يمنح الإنسان جيشًا يحارب معه، والجبن يجرد الإنسان من كل سلاح، فيستسلم قبل أن يدخل المعركة، ويرفع الراية البيضاء عندما تطلق الرصاصة الأولى»[1].

---

١ - الغزالي، مصدر مذكور، ص ١٤١ ـ ١٤٩.

النجف والتقريب

من المحاورالتي أكد عليها السيد الشهيد محمد باقرالحكيم في خطابه التقريبي هوإبرازالتوجه التقريبي في مدرسة أهل بيت رسول الله(ص). لقد أكد هذا في كتابه: *الوحدة الإسلامية من منظورالثقلين* وفي ثنايا دراساته ومقابلاته المختلفة. وينهج في بيانه الأسلوب النظري، وبيان المواقف العملية.

أحسب أن السيد الحكيم كان يريد من هذا التركيزعلى التقريب في مدرسةآل البيت أمرين:

الأول ـأن يقول للشيعي أنّ التقريب هدف أساسي من أهداف مدرسة أهل البيت، فإذا كنتَ من أتباع مدرسة أهل البيت حقيقة فعليك أن تكون من دعاة التقريب المذهبي، وهو بذلك يردّ على أولئك الذين يتخذون مواقف معادية من التقريب تحت لافتة الولاء لأهل بيت رسول الله(ص)، ويعملون على إثارة الفرقة والحزازات بين المسلمين تحت عنوان التولّي والتبرّي.

والثاني ـأن يقول للسنّي أن دعوة التقريب في مدرسة أهل

البيت هي دعوة مبدئية قائمة على أساس وجوب حفظ وحدة المسلمين، لأن حفظ وحدة المسلمين مقدمة واجبة لحفظ عزّتهم وكرامتهم ووجودهم . والتقية ـ لو فُهمت فهمًا صحيحًا ـ ليست سوى اتخاذ مايلزم لصيانة وحدة المسلمين واتقاء مايفرقهم ، ولا تقتصرعلى مسائل حفظ النفس.

يقول السيد الحكيم:

«**أنا أعتقد أن قضية التقريب في نظرية أهل البيت قضية أساسية ورئيسية**. وواجب من الواجبات الشرعية. وأول من رفع شعارالتقريب بين المسلمين هم أهل البيت. ولم يرفعوه شعارًا يتحدثون عنه فحسب، بل جسدوه أيضًا حالة عملية وخارجية وتطبيقية، وقدموا على طريقه تضحيات كبيرة جدًا على المستوى الشخصي لهم وعلى مستوى الجماعة والفئة التابعة لهم والملتزمة بسلوكهم ومسيرتهم. ولقد تحدثت عن مواقفهم هذه في كتاب: *الوحدة الإسلامية من منظورالثقلين*. وهناك مجموعة من المبادئ الرئيسية المعروفة لدى مذهب أهل البيت تجسّد هذه الحالة مثل مبدأ التقية. هذا المبدأ هو مبدأ تقريبي، ولو طالعنا نصوصه مطالعة واعية لوجدنا أنه لا يقتصرعلى الجانب الأمني بل يشمل أيضًا البعد التقريبي، والبعد الوحدوي وهو بُعدٌ مهم غفل عنه كثيرمن الباحثين. وأشرت في كتابي المذكورإلى نصوص التقية التي تكرّس هذا البعد التقريبي الوحدوي. وثمة مبدأ آخرغفل عنه كثيرمن الباحثين هو مبدأ التعايش بين المسلمين. وقد نادى أهل البيت(ع) بهذا المبدأ وهو

من خصائص مدرستهم. هناك تيارات الخوارج وتيارات الجهاز الحاكم وتيارات الانتهازيين وتيارات الثوريين المنتسبين لأهل البيت(ع) مثل الزيدية الذي تبناه بعد ذلك الحسنيون بعد زيد وأولاده. وتمتاز مدرسة أهل البيت بين كل هذه التيارات بدعوتها إلى مبدأ التعايش السلمي بين المسلمين. ونرى مصاديق هذا المبدأ في دعوة أهل البيت للاشتراك في صلوات الجماعة وزيارة المرضى والاهتمام بالأمور الاجتماعية مثل تشييع الجنائز والوفاء بالعقود وغيرها من المسائل التي دعوا المسلمين جميعًا اليها، من أجل أن يؤكدوا مسألة التعايش.

وهذا مبدأ مهم لم يدرس بشكل كامل مع الأسف في أبحاثنا السياسية والاجتماعية.

لقد تبنّى أمير المؤمنين علي(ع) مبدأ الحرية السياسية ومبدأ التعددية السياسية في المجتمع الإسلامي، وهو تبنّ فريد يمتازبه عن بقية الحكام. وظل أهل البيت يتبنون هذا الرأي. وهي ظاهرة سياسية مهمة. فالإمام يعتقد أن الخوارج على خطأ، وأن الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة على خطأ في موقفهم، لكنه لم يتخذ موقفًا قمعيًا لاسكاتهم، و إنما ترك لهم الحرية في أن يتحركوا. وكان يكتفي بإدانة مواقفهم. وبقوا يتحركون حتى رفعوا السلاح بوجه الإمام علي(ع). عندئذ لجأ إلى مايحافظ على وحدة المسلمين. وأئمة أهل البيت تبنوا أيضا مقولة: «لاستسلمنّ ماسلمت أمور المسلمين ولم يكن الجورإلا عليّ خاصة». وهي مقولة ذات دلائل

وحدوية. وهذه هي مبادئ التشيع وأفكاره. وفي تاريخنا القديم والحديث صور كثيرة تعبّر عن الموقف العملي لهذه الحالة الوحدوية» (مقابلة/٤٦).

ويرى السيد الحكيم أن مدرسة أهل البيت كانت في مواقفها العملية على مرّ التأريخ تتخذ المواقف العملية المجسّدة لمبدأ التقريب، والعصر الحديث شهد استمرار هذه المواقف.

والواقع أن الحوزة العلمية في مدينة قم كان لها مواقف رائدة في هذا المجال في العصر الحديث، وخاصة في زمن زعامة **آية الله السيد حسين البروجردي**، فمواقفه النظرية والعملية ومنهجه الدراسي والعلمي كان يقوم على أساس تحرّي مسائل الخلاف، وازالة ماعلق في الأذهان من أوهام، والتأكيد على الجانب العملي في التعاون بين المسلمين. أما النجف الأشرف فحاول بعضهم أن يراها متخلفة عن ركب التقريب ويرى أن خطابها المذهبي يغلب على خطابها الإسلامي، فيتصدّى السيد الحكيم لهذه الشبهة ويعدّد المواقف المعاصرة لحوزة النجف من القضايا الإسلامية مؤكدًا أنها كانت تضع القضايا الإسلامية الكبرى نصب عينيها في مواقفها، دون أن يغلب عليها الاتجاه المذهبي، ومما يذكره رضوان الله عليه ضمن مقابلة جرت معه في هذا المجال: في هذا المجال:

١- «الموقف من دخول الإنجليز إلى العراق، فالعراق هو البلد الوحيد الذي اجتمع فيه المسلمون جميعًا لمواجهة الغزو البريطاني . وقاد هذه المواجهة العلماء في العراق. فأصدر علماء النجف فتوى

الجهاد ضد الإنجليز، ووقفوا إلى جانب الدولة العثمانية لصدّ هذا الغزو. على أن الدولة العثمانية كانت تتبنى مواقف مذهبية متشددة قمعية تجاه غيرأتباع المذهب الحنفي، من أجل فرض هذا المذهب على كل المسلمين. بالرغم من ذلك وقف علماء النجف هذا الموقف الوحدوي».

٢- «وهكذا الأمرفي ثورة العشرين، نجد أن الشعارالمطروح هو إخراج البريطانيين من العراق، دون التفكيرفي البديل الحاكم، هل سيكون سنيًا أم شيعيًا. بل إن علماء النجف ذهبوا وجاءوا بحاكم سنّي من الحجاز. علماء النجف وشيعة العراق هم الذين قاتلوا، وهم الذين قدموا التضحيات، .. ولكن كان همهم الأول الإسلام، ولم يكن لهم هم طائفي مذهبي. ولذلك اختاروا حاكمًا سنيًا على شرط أن يحكم بالإسلام، وحينما نقض هذا الحاكم مبادئ الإسلام نهضوا بوجهه بدافع إسلامي أيضًا».

٣- «وفي الحرب العالمية الثانية كان للمرجعية موقف معروف في مساندتها للحركة الوطنية الرامية لتحريرالعراق من الهيمنة البريطانية، فقد وقف السيد أبو الحسن الإصفهاني إلى جانب الثوار من أجل الإطاحة بالسلطة العميلة للبريطانيين».

٤- «وموقف علماء النجف من حركة الإلحاد في العراق معروفة، فقد وقفوا بوجه التيارالشيوعي واليساري الذي حاول أن يهيمن على مقدرات العراق. وعلماء النجف قدموا في سبيل ذلك تضحيات جسيمة، رغم أن الظروف السياسية كانت تفرض أن لا

يقفوا هذا الموقف، بل يحصلوا على مكاسب في العهد الجمهوري بعد عهود من الاضطهاد الطائفي. فالعهد الجمهوري يمثل انفراجًا للوضع الطائفي في البلد. وأعطى فرصة للشيعة كي يكونوا في جهاز الحكم وفي الأوساط العسكرية والاقتصادية، لكن علماء النجف وقفوا ضد نظام عبد الكريم قاسم المساند لتيار الإلحاد، بل وقفوا ضد هذه الحالة من الانفراج، ليحققوا مكسب وحدة المسلمين في مواجهة تيار الإلحاد الشيوعي».

٥- «وموقف علماء النجف من قضية أكراد العراق وهم من أهل السنة واضح، فقد أصدر العلماء فتوى تحريم سفك دماء الأكراد، وتحريم أي عدوان عليهم. بينما وقف علماء السلطة ضد الأكراد. علماء الشيعة وقفوا إلى جانب صيانة دم الأكراد وأعراضهم، بينما وقف علماء السلطة إلى جانب العمليات القمعية ضد الأكراد».

٦- «أضف إلى كل ماتقدم موقف علماء النجف من قضية فلسطين . فقد واصلوا هذا الموقف في كل مراحل القضية، وأفتوا بجواز إنفاق الأموال والحقوق الشرعية لمناصرة العمل الفدائي ضد الصهاينة. ولايزال هذا الموقف المبدئي من هذه القضية ومناصرتها قائمًا حتى اليوم».

٧- «ثم إن موقف علماء النجف من الاشتراكية المعلنة في العراق قد جسد مبدأيتهم في عدم الانجراف نحو الشرق ولا نحو الغرب. فقد وقفوا بوجه التيار الاشتراكي الذي أريد له أن يكون

بديلا للتيار العلماني الديمقراطي. مؤكدين رساليتهم في هذا الموقف. ودخلوا في صراع كبيرلم يدخله غيرهم».

٨- «ومسألة التقريب بين المذاهب، بذلت جهود كبيرة في النجف الأشرف لطرح ثقافة التقريب، ولتأليف الكتب الدراسية التقريبية، ولجعل مادة الفقه المقارن مادة دراسية في الحوزات العلمية. وهذا ماحدث في النجف لأول مرة، حيث أصبح كتاب: الأصول *العامة للفقه المقارن*، للسيد محمد تقي الحكيم كتابًا دراسيًا في النجف وفي كلية أصول الدين ببغداد، هذه الكلية التي كانت برعاية المرجعية الدينية. ولقد شهد تاريخ الحوزة العلمية في النجف قديمًا وحديثًا تأليف مثل هذه الكتب الفقهية المقارنة مثل كتاب *تحرير المجلة* للمرحوم الإمام الشيخ كاشف الغطاء في أيام الحكم العثماني. ومن قبل ألف الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه كتاب *الخلاف* ، والعلامة الحلي، وهو من علماء مدرسة النجف، ألّف كتاب *التذكرة* وكتاب *المختلف* وهكذا حتى عصرنا هذا، دأب العلماء في النجف على السيرعلى هذه النهج التقريبي ونهج توحيد المسلمين».

٩- «وهناك نشاطات لدى علماء النجف من أجل إقامة علاقات مع علماء الأزهرالشريف، وخاصة شيوخ الأزهر، وكان من نتائج تلك النشاطات التقريبية أن أصدرالمرحوم الشيخ شلتوت شيخ الأزهرفتواه المعروفة. طبعًا كان لسماحة آية الله العظمى السيد البروجردي(رحمه الله) . في قم مسعى خاص في هذا المجال،

ولكن التطورات السياسية في إيران والعراق أدت إلى أن تتواصل جهود التقريب مع الأزهر عبر علماء العراق. ولا بأس أن تعرفوا أن فتوى الشيخ شلتوت صدرت في زمن عبد الناصر، وكانت علاقات عبد الناصر بنظام الحكم في إيران آنذاك متوترة . بينما كانت حوزة النجف تخوض آنذاك حربًا مريرة ضد الشيوعيين ممّا قرّب الحوزة العلمية في النجف من سائر علماء الإسلام وخاصة علماء الأزهر. ولا بأس أن أذكر شاهدًا يمكن أن يعتبر مصداقًا لهذا التقارب الذي حدث آنئذ، حين اعترف نظام الشاه بإسرائيل، وفتح الكيان الصهيوني مكتبًا له في طهران أرسل شيخ الازهر الشيخ شلتوت برقية إلى الإمام السيد الحكيم رضوان الله تعالى عليه، وأصدر الإمام الحكيم على أثر ذلك استنكارًا على ما أقدم عليه نظام الشاه».

١٠- «ومن اهتمامات مرجعية النجف في حقل التقريب، إرسال مصادر كتب الشيعة الهامة إلى المكتبات المركزية في مصر ولبنان وسوريا والسودان وغيرها من البلدان الإسلامية».

١١- «ومن اهتمامات علماء النجف في حقل التقريب حضور المؤتمرات العلمية التي عقدت في القاهرة ومراكش وتونس واللقاء فيها بعلماء المسلمين والمفكرين من جميع أرجاء العالم الإسلامي. وكان التمثيل على أعلى المستويات العلمية، حضر بعض هذه المؤتمرات المرحوم الشيخ المظفر، وحضر بعضها السيد محمد تقي الحكيم».

١٢- «وهناك بُعد آخر من هذه النشاطات التقريبية يتمثل في إقامة علاقات بين الكليات والمعاهد العلمية الدينية في النجف الأشرف وبغداد والكليات المماثلة في العالم الإسلامي، أهمها كليات الشريعة في القاهرة. وكان للسيد محمد تقي الحكيم والعلامة السيد مرتضى العسكري نشاط خاص ومساع جادة في مجال التقريب على هذا البعد».

انتخابات تونس ومصر وشعارات وتوجّهات الشعوب في اليمن والبحرين وسائر البلدان العربية تدلّ بوضوح أنهم يريدون أن يكونوا مسلمين معاصرين دونما إفراط متعجرف أو تفريط متغرّب، وبشعار «الله أكبر» يريدون ضمن مشروع إسلامي وبالتأليف بين المعنوية والعدالة والتعقّل وبأسلوب السيادة الشعبية الدينية، أن يتحرّروا من قرن من التحقير والاستبداد والتخلّف والاستعمار والفساد والفقر والتمييز. وهذا هو الطريق الصحيح.

الإمام الخامنئي

من ذكريات التقريب

ندوة ماضي التشيّع وحاضره

خلال الفترة من (٢١ ـ ٢٣ شعبان ١٤١٣ هـ) عقدت في اسطنبول ندوت تحت عنوان «ماضي التشيع وحاضره» أقامها جمع من الأساتذة الجامعيين الأتراك الأعضاء في «وقف دراسات العلوم الإسلاميّة»، واشترك في الندوة وفود: من مصر والسعودية والأردن وسوريا والعراق وباكستان، وكنت ضمن الوفد المشارك من الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية، الذي ضم: الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، والسادة العلماء والأساتذة: الشيخ جعفرالسبحاني، والسيد مهدي الروحاني، والشيخ إبراهيم الجناتي، والدكتورالسيد محمّد باقرحجتي، وكاتب هذه السطور.

أوكلت لي مهمة مناقشة المبحث الأول من مباحث الندوة الذي ألقاه الأستاذ الدكتور«أدهم روحي فغلالي»، ورئيس جامعة وغلا، تحت عنوان: «نشأة الشيعة وتطورها»، وتناول كلّ من أعضاء الوفد موضوعًا من موضوعات الندوة بالبحث والتعليق.

وكان المبحث الثاني تحت عنوان: «الشيعة من القرن العاشرإلى القرن العشرين» للأستاذ الدكتورإسماعيل آقا، مديرمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة إيجي.

والثالث: الشيعة في القرن العشرين والثورة الإسلاميّة في إيران للأستاذ الدكتورحسن اوناط، أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة أنقرة.

والرابع: آراء الشيعة المتعلقة بعلوم القرآن للأستاذ المساعد الدكتورموسى كاظم يلماز، خبيربرئاسة الشؤون الدينية.

والخامس: آراء الإمامية الاثني عشرية في تفسيرالقرآن للأستاذ الدكتورعلي أوزك، أستاذ التفسيربكلية الإلهيات بجامعة مرمرة.

والسادس: الحديث عند الشيعة الإمامية للأستاذ الدكتورجمال صوفوأوغلي، أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة٩ سبتمبر.

والسابع: أصول الفقه والأدلة الشرعية عند الشيعة للأستاذ الدكتورخيرالدين قرامان، أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة.

والثامن: التفكيرالشيعي السياسي التقليدي ومفهوم ولاية الفقيه عند الإمام الخميني للأستاذ المساعد الدكتورإسماعيل أوستون، أستاذ في الإلهيات بجامعة مرمرة.

والتاسع: أصول الدين عند الشيعة للأستاذ الدكتورعوني إيلخان، أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة ٩ سبتمبر.

والعاشر: فروع الدين .الأحوال الشخصية .عند الشيعة للأستاذ الدكتورعبد القادرشنر، أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة٩ سبتمبر.

والحادي عشر: فروع الدين .أي: العبادات .عند الشيعة للأستاذ

المساعد الدكتورإبراهيم جاليش قان، أستاذ كلية الإلهيات بجامعة أنقرة.

والثاني عشر: التصوف عند الشيعة للأستاذ المساعد الدكتور سليمان اولوداغ، أستاذ كلية الإلهيات بجامعة أولوداغ.

والثالث عشر: مذهب الزيدية للأستاذ المساعد الدكتورعيسى طوفان، أستاذ في كلية الشريعة بجامعة ٩ سبتمبر.

والرابع عشر: مذهب الإسماعيلية للأستاذ المساعد الدكتور مصطفى أوز. أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة.

والخامس عشر: تقويم حول أسس الاعتقاد وطرزالعبادات في مذهب الإسماعيلية للأستاذ الدكتوريوسف شوقي ياووز، أستاذ بكلية الإلهيات بجامعة مرمرة.

ويلاحظ من عناوين البحوث: أنها «مذهبية» مكرسة لدراسة المذهب الشيعي، ويخيل للشخص ـ كما كان يخيل إلينا قبل الحضور ـ أنّ هذه الندوة ستثيرمسائل طائفية وجدلاً بين أهل السنة والشيعة؛ ولذلك كان الوفد الإيراني مهيئًا ليدفع بالبحوث والمناقشات في اتجاه تقريبي دفعًا للفتنة. ولكننا منذ الجلسة الأولى شعرنا بالروح العلمية التقريبية التي تسود الأجواء، وهذه نماذج من مظاهرالابتعاد عن الروح الطائفية:

روح التقريب في جلسة الافتتاح:

افتتحت الندوة بآي من الذكرالحكيم، اختارها القارئ أو

العاملون على إقامة الندوة اختيارًا موفقًا وكلها تدعو إلى رصّ الصفوف والتمسك بحبل الله وعدم التفرق. ثم انعقدت الجلسة الأولى برئاسة الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأستاذ في كلية الآداب بجامعة اسطنبول، ورئيس مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميّة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي آنذاك (وهو الآن رئيس منظمة التعاون الإسلامي)، وهو من وجوه التواصل الثقافي المعروفة في العالم الإسلامي.

ثم ارتأت إدارة الندوة أن يتكلم في جلسة الافتتاح ممثل عن أهل السنة وممثل عن الشيعة. فاستدعي الدكتور عبد الله المصلح رئيس جامعة آل سعود فرع أبها، فألقى كلمة ما كان فيها للطائفية مكانة، بل كانت كلمة إسلامية تدعو إلى وحدة الصف وتوخي الروح العلمية في البحث، والى أن تضع الندوة نصب عينيها مشاكل العالم الإسلامي وما يحيط به من تحديات ومؤامرات.

ثم استدعيت لإلقاء كلمة نيابة عن العلماء الشيعة المشاركين في الندوة، فأكدت أنّ الدكتور المصلح لو تحدث نيابة عن الشيعة لما زاد عما قال، وأنا لا أزيد عما قاله، بل أثنّي على ما تفضل به، ثم تحدثت عن الأسس التي ينبغي أن تلتزم بها الندوة؛ لتخرج بنتائج تخدم العلم والفكر والمصلحة الإسلاميّة العليا.

وكان للكلمتين أثر كبير في نفوس العلماء الأتراك؛ لما فيهما من روح تفاهم علمي يسمو على الاختلافات البسيطة، ولما فيهما من توجه نحو فهم أوسع لقضايانا المعاصرة.

روح التقريب خلال أيام الندوة:

وخلال أيام انعقاد الندوة تليت البحوث، وعلق عليها المعلقون، وكانت جميعًا تتسم بروح علمية موضوعية بعيدة عن التعصب والطائفية، ومن الطريف أنّه طرح في الندوة أكثرمن مرة موضوع ضرورة عدم إثارة ما اختلف عليه السلف الماضي، وضرورة التوجه نحو المستقبل، ونحو فهم أعمق لمتطلبات المرحلة الراهنة وما تواجهه الأمة من تحديات عظيمة. وأنا بدوري قلت: إنّ موضوع الندوة يتطلب -شئنا أم أبينا- عودة إلى الماضي؛ لبيان جذور الاختلاف بين المسلمين. وهذه الندوة استطاعت -والحمد لله- أن تتناول هذا الموضوع بروح علمية رصينةٍ بعيدةٍ عن الإثارات العاطفية، ولكن كان من الأفضل أن تنصب جهود العلماء على رؤية مستقبلية لقضايا عالمنا الإسلامي؛ لأننا أحوج إليها من نبش الماضي. وتمنيت على الإخوة العلماء الأتراك أن تكون ندوتهم القادمة حول مسائل التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وحول الصحوة الإسلاميّة المعاصرة، ومستقبل الأمة الإسلاميّة، ووقع هذا الكلام موقع تأييد شديد من قبل الأستاتذة والحاضرين.

وخلال المحاضرات أثيرت مسائل حساسة، وكان للعلماء السنة والشيعة تعليقات ونقاشات عليها، وكانت النتيجة أن وجد الجانبان أنهما متفقان عليها تمامًا، ومن ذلك:

سلامة النص القرآني من أي تحريف.

وضرورة الاجتهاد في فهم نصوص السنة.

ومكانة أهل البيت الكبيرة بين جميع المسلمين.

وأن وحدة المسلمين فريضة يتحمل مسؤوليتها بالدرجة الأولى علماء المسلمين.

وأن المشتركات بين المسلمين عظيمة جدًا بحيث لا يحتل الاختلاف إلاّ مساحة صغيرة من الأصول والفروع ومناهج الحياة الإسلاميّة.

روح التقريب في جلسة الاختتام:

وفي جلسة الاختتام تحدث أربعة من الأساتذة العلماء الأتراك، ملخصين بحوث الندوة، ومؤكدين على أهم معطياتها؛ لتكون بمثابة البيان الختامي للندوة. ولأهمية أحاديثهم أذكرأدناه موجزًا لها من خلال رؤوس النقاط التي دونتها في مذكرتي خلال إلقاء كلماتهم:

البروفسورصالح طوغ:

ركزالأستاذ الدكتورصالح على ضرورة التطلع نحو المستقبل، فالماضي يحمل تركة ثقيلة نحن في غنى عن الخوض فيها، ولا فائدة من إثارة نزاعات أكل الدهرعليها وشرب، ومن الأفضل والأنفع أن نتطلع إلى المستقبل.

وقال: نحن المسلمون أمة واحدة شئنا أم أبينا، نحن كراكبي سفينة: إما أن ننجو جميعًا أو نهلك جميعًا، ومن هنا فإن مصلحة دنيانا

وآخرتنا تقتضي أن نركز على مواطن الاتفاق والاتحاد.

وأشار الأستاذ إلى مسألة «ولاية الفقيه»، وقال: إنها ـ خلاف ما أشاع البعض عنها ـ تستطيع أن تكون محور تجمع المسلمين. وقال: إنّ مشروع ولاية الفقيه يجب دراسته والتعمق فيه، واقترح إقامة ندوة خاصة حول اجتماع المسلمين حول محور ولاية الفقيه.

البروفسور حسين آطاي:

تحدث الأستاذ الدكتور حسين عن الرؤية القرآنية في مواجهة الأفكار المختلفة، ذاكرًا أنّ الكتاب الكريم يربي المسلمين على سعة الأفق، وبعد النظر في مواجهة المخالفين. ويتحدث عن الدعوة إلى الله باسم التبليغ، وهو اسم له دلالة كبيرة على طبيعة عمل الداعية. فالجدل المثير للنزاع محظور في الإسلام، ولا يجوز الجدال إلاّ بالتي هي أحسن.

وتحدث الأستاذ عن تجربته العلمية مع طلابه، وأوضح: أنّ سعة الصدر تستطيع أن تربي الأفراد تربية يتعالون فيها عن الصغائر، ويتجهون نحو أفق رحب في اتخاذ المواقف العلمية. وأشار إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾، مؤكدًا أنّ هذه العبارة فيها كلّ معاني السمو والترفع وعلو النظرة في اتخاذ المواقف من المخالفين.

وأشار الأستاذ إلى تفاهة الأمور التي تفرق بين المسلمين اليوم وتثير النزاع في أوساطهم، وقال: إننا نحتاج إلى أن نرفع مستوى أمتنا أولاً، وأن نصلح أنفسنا في بداية الأمر؛ كي نسد الثغرة أمام من تسول له نفسه تمزيق صفوف الأمة.

البروفسور محمّد سعيد خطيب أوغلي:

اعتذر الأستاذ الدكتور محمّد سعيد عن عدم مشاركته في طرح بحث في الندوة؛ بسبب سفره خارج تركيا. وركز على مفهوم الأمة وما يتبعه هذا المفهوم من مسؤوليات ملقاة على عاتق هذه المجموعة البشرية.

وأكد: أنّ ما يعانيه العالم الإسلامي اليوم من جراح في البوسنة والهرسك يشكل تحدّيًا صارخًا لوجودنا كأمة، فإن لم ننهض يدًا واحدة للوقوف بوجه هذا التحدي فإن وجودنا كأمة سيكون موضع تساؤل.

ثم تحدث عن الارتباط الثقافي والتاريخي العريق القائم بين الشعبين الإيراني والتركي، وأشار إلى أنّ الشعبين جمعهما الإسلام، وكانا بعيدين دائمًا عن النزاعات السياسية في تاريخ العالم الإسلامي.

وتطرق إلى التراث وما فيه من بعض السلبيات التي لا تزال تفرض إعادة التقويم ونفض الغبار. وأكد: أنّ العالم ملزم بأن يأخذ الحقيقة من أفواه الرجال، فالسلف اختلفوا في توثيق الرواية والرواة، وعلينا أن نتبع الحقيقة بمعزل عن الذهنية المذهبية المسبقة.

البروفسور خير الدين قرامان:

الأستاذ الدكتور خير الدين ذكر: أنّ هذه الندوة خرجت في مجمل بحوثها إلى أنّ المسلمين سنة وشيعة متفقون على أمور ثلاثة أساسية وهي:

١ ـ كتاب الله، وأنه محفوظ بحفظ الله بين الدفتين، لم يعتره تحريف ولا نقص ولا زيادة وأنه المرجع الأول في عقيدة المسلم ومنهج حياته.

٢ ـ السنة، والمسلمون مجمعون على حجية السنة في العقيدة والعمل، ومجمعون على وجوب الأخذ بها إذا صحت لديهم.

٣ ـ الإمامة وولاية الفقيه، فكل المسلمين مؤمنون بالقيادة الإسلاميّة، ومشروع ولاية الفقيه يجمع بين نظرات أهل السنة والشيعة.

ثم أشاد الأستاذ بالإمام الراحل الخميني رضى الله عنه باعتباره المنظر لهذا المشروع، وقال: **إنّ الشيعة أناموهم قرونًا باسم انتظار المهدي، والسنة أناموهم قرونًا باسم الصبر.**

والإمام الخميني أيقظ المسلمين حول محور ولاية الفقيه، فقال للشيعة: هذا النوع من الانتظار حرام، ولابد أن تنهضوا على طريق تحقيق أهداف الإسلام التي هي نفسها أهداف المهدي (عليه السلام). وقال للسنة: هذا النوع من الصبر حرام أمام الظالمين والطغاة. فأثار في العالم صحوة جمعت السنة والشيعة؛ فولاية الفقيه إذن نقطة مشتركة بين المسلمين.

وأهاب الأستاذ الدكتور بالعلماء أن يشيعوا هذا الاتفاق بين المسلمين. فعامة الناس ينظرون إلى علمائهم ويقتدون بهم، وإذا وجدوهم على قلب واحد فإن ذلك يسري إلى عامة الناس أيضًا.

وذكر الأستاذ الدكتور خير الدين مسألة الأخوة بين المسلمين،

وما يترتب عليها من واجبات، أقلها الابتعاد عن تكفير البعض البعض الآخر.

وأشار إلى موقف الشيعة من الصحابة، وأكد: أنّ الشيعة لا يسبون الصحابة، بل إنّ جهود الشيعة في إيران اليوم تتجه نحو توحيد الصفوف، ولا أدل على ذلك من فتاوى الإمام الخميني بشأن الاقتداء بأئمة أهل السنة في صلاة الجماعة وعدم الإعادة. واستنكر الأستاذ محاولات تشويه الحقائق عند الشيعة مثل: التقية.

في إسطنبول عقيب الندوة:

كان لنا عقيب الندوة جولة في إسطنبول زرنا خلالها كلية الإلهيات في جامعة مرمرة، ومركز دائرة المعارف الإسلامية، وبعض المؤسسات الثقافية والعلمية، وعددًا من مراكز تدريس القرآن وتحفيظه، وبعض المساجد والمكتبات والمتاحف، والتقينا خلالها جموعًا من الشباب والعلماء والأساتذة، وكان للسيد الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ولي كلمات وأحاديث حول الأسس العلمية للتقريب بين المذاهب، ووجدنا في هذه المدينة المطوقة بألوان التذويب والتمييع والتخدير آلاف الشباب والشابات يعكفون على دراسة القرآن وحفظه، ودراسة علوم الإسلام والدعوة إليه، يتحدثون بحماس عجيب عن وحدة المسلمين ومستقبل العالم الإسلامي. هؤلاء الذين أريد منهم أن ينقطعوا حتى عن الحرف العربي، يعكفون اليوم على دراسة الإسلام من مصادره

الأساسية، واثقين أنّ عزتهم وسؤددهم في الإسلام لا غير.

وفي إحدى الجلسات مع عدد من شباب الدراسات العليا في العلوم الإسلاميّة طُرحت أسئلة عن تفأصيل المسائل المرتبطة بالصحوة الإسلاميّة، والدولة الإسلاميّة في إيران، مما يدل على متابعتهم الدقيقة لكل قضايا العالم الإسلامي.

وفي أحد المراكز الثقافية الإسلاميّة وجدنا شبابًا طافحين بالإيمان، يعكفون على ترجمة كتب رجال الصحوة من السنة والشيعة إلى اللغة التركية، وينشرون كراسات تحمل تعاليم الإسلام في مختلف جوانب الحياة، كما أنّ أكثر من صحيفة إسلامية تنشر هموم المسلمين وقضاياهم وأخبارهم.

ومراكز المخطوطات والآثار التركية تعيد إلى ذهن المسلم آخر ما كان يتمتع به المسلمون من عزة قبل عصر الاستعمار، ويعتصره الألم حين يرى ما حل بالمسلمين حين سقطت هذه القلعة الإسلاميّة الشامخة، ويأسف أشد الأسف على ضياع هذه العزة بيد المسلمين أنفسهم قبل أن تضيع بيد أعدائهم. ترى ماذا كان يحدث في العالم الإسلامي لو لم تتصارع الدولتان العثمانية والصفوية على مصالح دنيوية مغطاة بالطائفية ؟ وأي درس تركه هذا الصراع للمسلمين اليوم وهم يحاولون استعادة كرامتهم وعزتهم؟

وثيقة تاريخية هامة

من إدريس بن عبدالله

أينما وجدت أثارة من جهاد آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجدت المجتمع الذي ينأى عن الصغائروعن الطائفية والنظرات الضيقة، وينشدّ بفكره وعواطفه نحوآفاق الرسالة، فهذا البيت الكريم سجل في صفحات التاريخ مواقف عظيمة، تجعل كلّ المسلمين بمختلف مذاهبهم مدينين إليه في كلّ ما ورثوه من شخصية إسلامية.

إنهم وأتباعهم والسائرون على طريقهم يشكلون على مدى التاريخ، أعلام هدى، ومصابيح دجى، وعروة وثقى صانت الدين من تلاعب المتلاعبين، وأهواء المنحرفين، ولذلك نجد المسلمين بكل مذاهبهم، بل وأئمة مذاهب المسلمين بأجمعهم يرون في آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السند والملاذ والنجاة من الهلاك.

أقف في هذا المقال عند واحدة من بقاع آل محمّد، وهي «المغرب الأقصى»، فلقد زرتها مع وفد ترأسه الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة الشيخ واعظ زاده الخراساني وضم جمعًا من أعضاء المجمع بدعوة كريمة من علماء هذا الصقع، بل هذا الثغرالإسلامي الحبيب.

وجدت التحديات في هذا البلد كبيرة جدًا. فالمغرب لا يفصله

عن الغرب إلاّ ميم مضيق جبل طارق، فهو أمام العداء السافر التاريخي والسياسي والإعلامي وجهًا لوجه.

ولكن الإسلام فيه رغم كلّ ذلك بخير. الروح الإسلاميّة تغمر الحياة المغربية، ويعيشها الإنسان المغربي بكل فئاته. وما أثار انتباهنا أكثر باعتبارنا وفدًا تقريبيًا، تعالي المغاربة عن كلّ اختلاف طائفي وحساسيات مذهبية، رغم ما تلمسنا من محاولات خارجية لإثارة هذه الاختلافات والحساسيات.

وحين تفحصنا الأمر وجدناه يعود إلى ارتباط تاريخ هذا البلد بآل رسول الله. وهذه ظاهرة هامة من ظواهر «التقريب» يحسن أن نقف عندها ولو قليلاً.

إدريس الأول في زرهون:

حين تتجه إلى مدينة «فاس» من «الرباط»، يستوقفك قبل الوصول إليها ضريح في بقعة جميلة مزدانة بالأشجار أسمها «زرهون»، إنه ضريح إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

جاء إدريس إلى المغرب يدعو المغاربة للأنضمام إلى ثورة أخيه محمّد المسمى «النفس الزكية» في المدينة أيام خلافة المنصور العباسي (١٤٥هـ)، فأجابه خلق من الناس[1].

١- أنظر *مروج الذهب*، المسعودي ٣/ ٢٩٤، *الشافي* ١/ ١٤٢، *الروض النضير*١/ ٩٤، *شذرات الذهب* ٣/ ١٥٩، *مقاتل الطالبيين* / ١٣٥، *عيون الأخبار* لابن قتيبة ١/ ٢١٢، *الحدائق الوردية* ١/ ٣١٨، *مناقب الإمام أبي حنيفة* ١/ ٢٥٥ .

والمهم في هذا الداعية العلوي، نداؤه الذي وجهه إلى المغاربة يدعوهم فيه إلى إقامة الإسلام كما جاء به رسول الله، بعيدًا عن تحريف الحكام الأمويين والعباسيين.

ونرى فيه روح التوحيد الخالص، والإسلام المحمدي النقي.

وهو وثيقة «تقريبية» هامة جدًا، تعني فيما تعني أن مدرسة آل بيت رسول الله ليست طائفية ولا مذهبية، بل تنأى عن كلّ ما يفرق صفوف المسلمين، وتتحدث بلغة القرآن والسنة لا غير.

ولأهمية هذه الوثيقة التي نشرها أول مرة المرحوم الأستاذ المجاهد «علال الفاسي» ننقلها بنصها، ثم نشيرإلى بعض ملاحظات علال الفاسي بشأنها[1].

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي جعل النصرلمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عند عنه، ولاإله إلاّالله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهرمن عجيب حكمته، ولطف تدبيره، الذي لا يدرك إلاّأعلامه.

وصلى الله على محمّد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، أحبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين.

أما بعد، فإني:

١ ـأدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ـصلى الله عليه وآله وسلم

١– ذكر الأستاذ علال الفاسي أن هذه الوثيقة أخذها من كتاب مخطوط تحت عنوان *المرجع الشافي* لعبد الله بن حمزة من أئمة اليمن، والكتاب موجود باليمن. ونحن نقلناها من كتاب *المغرب عبر التاريخ* لإبراهيم حركات ١/ ١١٦ ـ ١١٩ .

٢ ـ و إلى العدل في الرعية والقسم بالسوية، ورفع المظالم والأخذ بيد المظلوم.

٣ ـ و إحياء السنة و إماتة البدعة، ونفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد.

٤ ـ اذكروا الله في ملوك غيروا، وللأيمان خفروا، وعهود الله وميثاقة نقضوا، ولبني بيته قتلوا.

٥ ـ وأذكركم الله في أرامل احُتقرت، وحدود عُطلت، وفي دماء بغيرحق سفكت.

٦ ـ فقد نبذوا الكتاب والإسلام، فلم يبق من الإسلام إلاّ اسمه، ولا من القرآن إلاّ رسمه.

٧ ـ واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله على أهل طاعته، المجاهرة لأهل عداوته ومعصيته، باليد وباللسان[1].

آ ـ فباللسان الدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة، والنصيحة، والحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الإنابة والإقلاع، والنزوع عما يكرهه الله، والتواصي بالحق والصدق، والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصي الله كلها، والتعليم والتقديم لمن استجاب لله ورسوله، حتّى تنفذ بصائرهم وتكمل، وتجتمع كلمتهم وتنتظم.

ب ـ فإذا اجتمع منهم من يكون للفاسد دافعًا، وللظالمين

١- ننقل الوثيقة كما جاءت بترتيب الأستاذ علال الفاسي .

مقاومًا، وعلى البغي والعدوان قاهرًا أظهروا دعوتهم، وندبوا العباد إلى طاعة ربهم، ودافعوا أهل الجورعلى ارتكاب ما حرم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فإن في معصية الله تلفًا لمن ركبها، و إهلاكًا لمن عمل بها.

ج ـ ولا يؤنسنكم من علو الحق واضطهاده، قلة أنصاره، فإن في ما بدا من وحدة النبي .صلى الله عليه وآله وسلم ، والأنبياء الداعين إلى الله قبله، وتكثيره إياهم بعد القلة، واعزازهم بعد الذلة، دليلاً بينًا وبرهانًا واضحًا قال الله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران/ ١٢٣) .

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللّٰهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج/٤٠) فنصر الله نبيه وكثّر جنده وأظهر حزبه، وأنجز وعده، جزاءًا من الله سبحانه، وثوابًا لفضله وصبره، و إيثاره طاعة ربه، ورأفته بعباده، ورحمته وحسن قيامه بالعدل والقسط، في تربية ومجاهدة أعدائهم، وزهده فيما زهده فيهم، ورغبته فيما يريده الله، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه كما أدبه الله، وأمر العباد باتباعه، وسلوك سليم (كذا). والإقتداء لهدايته، واقتفاء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم، كما قال عزوجل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللّٰهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد/ ٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَ إِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل/ ٩٠) .

وكما مدحهم وأثنى عليهم كما يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ (آل عمران/١١٠).

وقال عزوجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ (التوبة/٧١).

د ـ وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان والإقرار لمعرفته، وأمر بالجهاد عليه، والدعاء إليه، قال تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ (التوبة/ ٢٩) .

وفرض قتال المعاندين على الحق، والمعتدين عليه، وعلى من آمن به، وصدق بكتابه، حتّى يعود إليه ويفيء، كما فرض قتال من كفر به وصد عنه، حتّى يؤمن به، ويعترف بشرائعه. قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأخرى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِاللّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات/٩).

هـ ـ فهذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم بالتعاون على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضًا من الله واجبًا، وحكمًا لازمًا، فأين عن الله تذهبون وأنّى تؤفكون؟.

و ـ وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقًا وغربًا، وأظهروا الفساد، وامتلأت الأرض ظلمًا وجورًا، فليس للناس ملجأ، ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء.

فعسى أن تكونوا معاشرإخواننا من البربر، اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصارالكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين، من ذرية النبيين، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصرالله مع النبيين.

٨ ـ واعلموا معاشرالبربرأني أتيتكم، وأنا المظلوم الملهوف الطريد الشريد، الخائف الموتورالذي كثرواتره، وقَلّ ناصره، وقُتل إخوته وأبوه وجده وأهلوه، فأجيبوا داعي الله، فقد دعاكم إلى الله، فأن الله عزوجل يقول: ﴿وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء﴾ (الأحقاف/ ٣٢).

أعاذنا الله و إياكم من الضلال، وهدانا و إياكم إلى سبيل الرشاد.

٩ ـ وأنا إدريس بن عبدالله، بن الحسن، بن الحسن، بن علي بن أبي طالب، عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله وعلي بن أبي طالب جداي، وحمزة سيد الشهداء، وجعفرالطيارفي الجنة عماي، وخديجة الصديقة، وفاطمة بنت أسد الشفيقة جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيين أماي، والحسن والحسين ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبواي، ومحمد وابراهيم أبنا عبدالله المهدي والزكي أخواي.

١٠ ـ هذه دعوتي العادلة غيرالجائرة، فمن أجابني فله مالي، وعليه ما علي، ومن أبي فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة

أني لم أسفك له دمًا، ولا استحللت محرمًا، ولا مالاً، وأستشهدك يا أكبر الشاهدين، وأستشهد جبريل وميكائيل أني أول من أجاب وأناب.

فلبيك، اللهم لبيك، مزجي السحاب، وهازم الأحزاب، مصير الجبال سرابًا، بعد أن كانت صمًا صلابًاأسألك النصر لولد نبيك، إنك على كلّ شيء قدير، والسلام وصلى الله على محمّد وآله وسلم».

ملاحظات الأستاذ علال الفاسي:

الغريب أن الأستاذ المجاهد بعد أن نشر الوثيقة استنتج منها أن إدريس الأول ما كان شيعيًا، بل إمامًا من أئمة السنة، لما في خطبته من مفاهيم توحيدية لا تشبه ما عند «المعتزلة»، ولأن الإمام مالكًا بايع أخاه محمدًا، ومالك لا يبايع غير سني، ولأن العباسيين لو علموا أن إدريس كان شيعيًا لشنعوا عليه في مؤامراتهم.

ومع تقديرنا الفائق للأستاذ المجاهد المرحوم علال، نرى أن كلامه هذا ينطلق من فهم تاريخي غير صحيح لمدرسة آل بيت رسول الله، أو سمها إن شئت «التشيع».

ولو راجع الأستاذ الفاسي كتاب *نهج البلاغة* لرأى أن إدريس يتحدث عن صفات الله في ندائه كما يتحدث جده علي (عليه السلام)، لا يسلك في ذلك نهج الأشاعرة ولا المعتزلة، فمدرسة آل البيت أعرق من هذه الاختلافات في الأصول.

أما بيعة مالك لأخيه محمّد، فتدل على أن مالكًا وسائرفقهاء المدينة كانوا لا يؤمنون بشرعية الخلافة العباسية، ولا بصحة البيعة التي أخذت من الناس للخليفة العباسي، و إذا كان لابد من خليفة، فهذا البيت العلوي أحق بها. والنفس الزكية سمي بهذا الاسم لزهده ونسكه كما يقول المسعودي[1] وهو من سادات بني هاشم ورجالهم، فضلاً وشرفًا ودينًا، وعلمًا وشجاعة، وفصاحةً ورئاسة، وكرامة ونبلاً، كما يقول ابن الطقطقي[2].

ومن هنا فإنه حين أقبل أهالي المدينة على الإمام مالك بن أنس، يستفتونه في الخروج مع محمّد النفس الزكية، وقالوا له: إنّ في أعناقنا بيعة لأبي جعفر (المنصور) قال مالك لهم: إنّما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين وكذلك انضم إلى محمّد النفس الزكية محمّد بن عجلان، وكانت له حلقة في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) يفتي الناس فيها ويحدثهم، حتّى إذا قامت الثورة شارك فيها وانضم إليه أيضًا عبدالله بن جعفربن مخرمة، وكان من أبرزعلماء المدينة في الفقه والحديث والفتوى[3].

والتاريخ يحدثنا عن مواقف أخرى لفقهاء المذاهب الإسلاميّة وقفوها مناصرين ومؤيدين لثورات أهل البيت ولأئمة أهل البيت، مما يدل على تسامي مدرسة أهل بيت رسول الله على الخلافات

١- *مروج الذهب* ٣/ ٢٩٥ .

٢- *الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة* / ١٤٨ .

٣- انظر: *جهاد الشيعة*، سميرة مختار الليثي / ١٣٠ ـ ١٣١ .

المذهبية، وأستاذيتها وأبوتها لكل المسلمين.

ومن هنا لم تكن كلمة «أهل البيت» و«شيعة أهل البيت» مبغوضة لدى المسلمين حتّى يشنع العباسيون بها على إدريس كما يقول الأستاذ الفاسي، فالعباسيون حصلوا على قاعدتهم الشعبية الواسعة، في ثورتهم على الأمويين بهذه الشعارات الشيعية، وكان شيعة أهل البيت لا يمثلون فريقًا أمام أهل السنة، بل يمثلون في نظر المسلمين آنئذ الصفوة الطاهرة، التي تحمل الإسلام علمًا وعملاً كما أراده الله.

إيران لا تستهدف نشر التوجّه الإيراني أو الشيعي بين المسلمين. إيران تنهج طريق الدفاع عن القرآن والسنة و إحياء الأمة الإسلامية. الثورة الإسلامية تعتقد أن مساعدة المجاهدين من أهل السنّة في منظمات حماس والجهاد، والمجاهدين الشيعة في حزب الله و أمل واجب شرعي وتكليف إلهي دونما تمييز بين هذا وذاك.

الإمام الخامنئي

جمال الدين الحسيني
والأدب العربي

الأدب مظهر من مظاهر حياة المجتمع، فإذا كانت هذه الحياة متحركة متّقدة خلاّقة كان الأدب متسمًا بسماتها، و إذا أصيبت بعاهة انتقلت إلى الأدب أيضًا، ولذلك نرى الأدب في عصر الركود والانحطاط لا يعدو أن يكون «مهارة لفظية، وقدرة على التفوه بعبارات شعرية ونثرية لا حياة فيها، ولا عاطفة ولا قوة، و إنما غرضها إظهار البراعة في اقتناص ألوان البديع؛ حتى إنهم ليخلّون بالأعراب في الكلمات والتصريف، إذا تعارض الإعراب أو التصريف مع ما يريدونه من جناس أو طباق، ويفسدون بنية الكلمة، عساها تصادق ما يجرون وراءه من هذه الحلي التي يسترون بها عورات لغتهم الركيكة وأفكارهم السقيمة، وخيالاتهم المريضة».

الأدب العربي قبل السيد جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني لم يكن يختلف كثيرًا عن عصر الانحطاط، ولم يكن للاتصال الأوروبي عن طريق الحملة أو البعثات أو الإرساليات أثر

يذكرعلى الأدب العربي. أما بعد نهضة السيد فقط تطورالأدب تطورًا واسعًا بشعره ونثره، لما كان لهذه النهضة من أثرعميق في ضميرهذه الأمة ووجدانها.

ولا أدلّ على ما ذكرنا من أن رائد النثرالعربي الحديث محمد عبده ورائد الشعرالحديث محمود سامي البارودي هما من تلاميذ السيد جمال الدين.

تأثيره المباشرعلى الأدب العربي

إلى جانب النهضة الاجتماعية التي أوجدها السيد، وتأثيرهذه النهضة على الأدب، كان لجمال الدين دورمباشرفي دفع حركة الأدب وتطويرها نلخصها بما يلي:

١ـ أرشد السيد تلاميذه الكتاب إلى التحررمن القيود الثقيلة التي كانت ترسف فيها الكتابة الإنشائية من محسنات بديعية مختلفة، وسجع متكلف ممقوت، واستعارات غريبة وغيرذلك مما أفسد المعنى وسترالأفكارعن الوضوح والجلاء، كما أرشدهم إلى تجنب المقدمات الطويلة؛ وطبيعي أن يصرفهم إلى الاهتمام بالمعاني، لأن هناك أشياء كثيرة يريدون الإبانة عنها والإفاضة فيها. ولا يتسع هذا النثرالمقيد لكل تلك المعاني، ولا يستطيع إيضاحها كاملة. وظهرت هذه التوجيهات في أسلوب محمد عبده وأديب إسحاق وعبدالله النديم وأحمد عرابي وغيرهم كثير.

٢ـ لم يكن السيد جمال الدين من المطبوعين على الأساليب العربية الجميلة، لكنه فيما كتبه من مقالات قدم نماذج جيدة

على الأسلوب المتحررمن السخافات والجمود.

لقد كان قادرًا على تفتيق المعاني وتوليد الأفكار. يقول تلميذه محمد عبده:

«له سلطة على دقائق المعاني وتحديدها و إبرازها في الصورة اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له، وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش، فنظرة منه تفكك عقدها. كل موضوع يلقى إليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه، فيأتي على أطرافه، ويحيط بجميع أكنافه، ويكشف سترالغموض عنه فيظهرالمستورمنه، و إذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها، ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع، كأن ذهنه عالم الصنع والإبداع».

ويقول في موضع آخرمتحدثًا عن تأثيرالسيد في نشوء جيل من الكتاب في مصر: «كان أرباب العلم في الديارالمصرية، القادرون على الإجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل. وما كنا نعرف منهم إلاّ عبدالله باشا فكري، وخيري باشا، ومجد باشا سيد أحمد، على ضعف فيه، ومصطفى باشا وهبي، على تخصص فيه، ومن عدا هؤلاء، فإما ساجعون في المراسلات الخاصة، و إما مصنفون في بعض الفنون العربية أو الفقهية وما شاكلها؛ ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطرالمصري لا يُشق غبارهم، ولا يوطأ مضمارهم، وأغلبهم أحداث في السن، شيوخ في الصنعة وما منهم إلا أخذ عنه (عن السيد جمال الدين) أو عن أحد تلاميذه أو قلد

المتصلين به».

٣ـ شجّع جماعة من الكهول والشبان على إنشاء الجرائد، والكتابة فيها. فطلب إلى الشيخ محمد عبده و إبراهيم اللقاني وغيرهما أن يشتركا في تحرير جريدة التجارة التي أنشأها أديب إسحاق، وكتب هو بنفسه فيها. وتدخل في تحرير الوقائع المصرية وطلب إلى الكتاب أن يدبّجوا مقالاتهم في موضوعات تمسّ حياة الأمة في صميمها، وحرّض الصحفي اليهودي (يعقوب بن صنّوع) على إصدار جريدته التهكمية أبي نضارة ويشجعه على الاستمرار في النقد الذي يلذع به إسماعيل.

٤.من الملفت للنظر أنه شجع على ترجمة الأدب الاوروبي، وخاصة ذاك الذي يحمل روحًا ملحمية، واعتبر أن نقل هذا اللون من الأدب إلى العربية أكثر فائدة من نقل الفلسفة اليونانية. وهذا يؤيّد اهتمامه بيقظة الروح أكثر من اهتمامه بالفكر. يُذكر مثلاً أنه «هو الذي شجع سليمان البستاني على ترجمة *الإلياذة* لهوميروس فقال كما يروي البستاني نفسه: إننا يسرّنا أن نفعل اليوم ما كان يجب على العرب أن يفعلوه قبل ألف عام ونيف. ويا حبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم المأمون بادروا إلى نقل *الإلياذة* بادئ ذي بدء، ولو ألجأهم ذلك إلى إهمال الفلسفة اليونانية برمتها».

ابن هاني الأندلسي

هو أبو قاسم محمد بن هاني الأندلسي أو الإلبيري، ولد في أشبيلية عام ٣٢٠هـ والده هاني من مدينة «المهدية» عاصمة الفاطميين الأولى، ثم هاجر إلى الأندلس.

تثقف ابن هاني في صباه في مجامع العلم والأدب بإشبيلية، ثم انتقلت أسرته إلى إلبيرة (قرب غرناطة)، وتلقى العلوم في مدينة قرطبة. وكانت قرطبة آنئذ في عهد الناصر زاخرة بالعلماء وأسباب الحضارة.

اتصل بولاة أشبيلية فأكرموه ومدحهم. ثم انتقل إلى المغرب وعمره سبع وعشرون سنة.

يجمع الباحثون على أن انتقاله إلى المغرب كان بسبب تشيّعه، ومن الواضح أن الأندلس عرفت التشيّع، وكان فيها شيعة على مرّ العصور، ولذلك فإن ترك ابن هاني للأندلس لم يكن على أقوى الاحتمالات لعقيدته الشيعية، بل بسبب مواقفه الرافضة لما في الأندلس من انحراف الحكّام، ورأى أن الحكم العلوي هو الأمين على الرسالة الإسلاميّة. موقفه إذن كان سياسيًا مناهضًا لنظام الحكم الأموي في الأندلس، ونظام الحكم العبّاسي في بغداد، ولم يكن عقائديًا محضًا.

ولـذلك اتجـه فـي المغـرب إلـى توظيـف شـعره لمـدح الخلفـاء الفـاطميين وولاتهـم. حـطّ ابـن هـاني رحالـه فـي «المسيلة» (بالجزائر حاليًـا)، حيـث كـان واليهـا جعفـربـن علـي الأندلسـي[1] القائـد الفاطمي، يساعده أخوه يحيى بن علي.

لقد وجد ابن هاني في هذه الأسرة ما يحقّق آماله في الحاكم المطلوب، ولذلك أنشد فيها سبعًا وعشرين قصيدة، واللافت للنظر أنه في مدحه يشيرإلى النسب الإيراني لجعفرويحيى، من ذلك يمدح جعفربن علي في قصيدة مطلعها:

كذب السلوُّ العشقُ أيسرُمركبا ومَنيَّـة العشـاقِ أهـونُ مطلبـا

ويقول فيها:[2]

كسرى شهنشاهُ الذي حُدثته هـذا فـأين تظـنُّ منـه المهربـا
مـازال يَعلَـق فـي منابـتِ فـارسٍ حتـى ظَننـتُ النوبهـارَلـه أبـا
ولـئن سطا بسريرِمُلـكٍ أعجـمٍ فلقـد أمـدّته لسانًا مُعربا...
مـن آل سـاسـانِ منارٌللصبا قد بتُّ أسأل عنـه أنفاس الصَّبـا

وصل خبره إلى المعزّبالله الفاطمي، فاستدعاه إلى القيروان وهنا بدأت مرحلة من أخصب مراحل شاعرية الشاعر، وشعره في المعزّ طافح بالولاء للحكم الفاطمي. من ذلك قوله:

هـذا الشـفيعُ لأمـةٍ يـأتي بهـا وجـدودُه لجـدودها شـفعاءُ

١- انظرفي جعفربن علي الأندلسي، وفيات الاعيان، ابن خلكان ١٣٧/١.

٢- سيأتي ذكرالقصيدة في الصفحات التالية.

هـذا أمـينُ الله بـينَ عبـادِه وبـلادُهُ إن عُـدّت الأمنـاءُ
هذا الذي عَطَفت عليه مكةُ وشعابها والـركنُ والبطحـاء
هـذا الأغـرُّالأزهـرُالمتـألقُ المتـدفّقُ المتـبلّجُ الوضّـاءُ
فعليـه مِنْ سيمـا النبي دلالةٌ وعليـه مـن نـورالإلـه بهاءُ

وظلّ ابن هاني يمدح المعزّ ويذكر انتصاراته على الروم من مثل قوله: [1]

يومٌ عريضٌ في الفخار طويلُ ما تنقضـي غُـرَرٌلـه وحُجُـولُ
ينجـابُ منه الأفقُ وهو دُجنّةٌ ويصِـحُّ منـه الـدهروهـو عليلُ
مَسحَت ثغورُالشام أدمعَها به ولقد تَبُلُّ التربَ وهي هُمُولُ
وجـلا ظـلامَ الـدين والـدنيا بـه مَلِـكٌ لما قـال الكِـرامُ فَعـولُ
متكشّـفٌ عـن عَزمـةٍ عَلويّةٍ للكفـرمنها رنّـةٌ وعـويـلُ

ولما توجه المعزّ إلى مصر بعد أن فتحها جوهر، شيّعه ابن هاني، ورجع إلى المغرب، فأخذ معه عياله ليلتحق به، ولما وصل بَرقة (شرق ليبيا حاليًا) قُتل سنة ٣٦٢هـ «وقد يكون لبني أمية يد في مقتله لأنه كان يقذعهم في هجائه لهم...» [2].

١- الديوان، ص ٢٥٦ قوله: ما تنقضي غُررٌله وحجول: أي إنه يوم مشرق لا تُعّد محاسنه. والدجنّة: الظلام. ثغور الشام: حدودها التي كانت باكية بسبب ما تتعرض له من عدوان.

٢- مقدمة الديوان، ص ٦ .

ولما بلغ المعزَّ خبرُ مقتله تأسف كثيرًا وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله! هذا الرجل كنّا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يُقدَّر لنا ذلك»[1].

أما شعره فينزع إلى روح البداوة المتأثرة بشعر الجاهليين والإسلاميين، ومعانيه قريبة واضحة[2] وعن مكانته الشعرية وديوانه يقول ابن خلكان: «لولا ما فيه من الغلوّ في المدح والإفراط المفضي إلى الكفر (ويقصد مبالغاته في وصف المعزّ) لكان من أحسن الدواوين، وليس في المغاربة من هو في طبقته: لا من متقدّميهم ولا عن متأخّريهم، بل هو أشعرهم على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة، وكانا متعاصرين...».

يقال: إن أبا العلاء المعري كان إذا سمع شعر ابن هانئ يقول: ما أشبّهه إلاّ برحىً تطحن قرونًا، لأجل القعقعة في ألفاظه، ويزعم أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ. ينقل هذا القول ابن خلكان ثم يعلّق عليه بالقول: ولعمري ما أنصفه في هذا المقال، وما حَمَلَه على هذا إلا فرطُ تعصّبه للمتنبي[3].

ويقول عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: «أديب شاعر مفلق،

١- وفيات الأعيان، ٤٢٢/٤.

٢- الأدب الأندلسي، محمد عبدالمنعم خفاجي، ص ٤٥٨ .

٣- وفيات الأعيان، ٤٢٤/٤.

أشعرالمتقدمين والمتأخرين من المغاربة»[1].

يأخذ عليه كثيرمن النقاد مبالغاته، و إسرافه في معزّياته مثل قوله في المعزّبعد أن انتصرعلى جيوش القرامطة في الشام سنة ٣٦١هـ:

ماشئتَ لا ماشاءت الأقدارُ فاحكم فأنتَ الواحدُ القهّارُ
وكأنما أنتَ النبيُّ محمدٌ وكأنما أنصارُك الأنصار

واضح أن الشاعرلا يريد أن يؤلّه المعزّ، بل يقصد أنه وحيد زمانه الذي قهرجيوش المعتدين، ويشبهه برسول الله في انتصاراته، ويشبّه جيشه بأنصارالنبي(ص)، لكن الأسلوب لا يخلو من مبالغة يفتح عليه شبهة التأليه، مما دعا بعضهم إلى تكفيره!

حكومة إيران تعلن بصوت مرتفع قاطع أنها تؤمن بنهضة الشعوب (لا بالإرهاب)، وبوحدة المسلمين (لا بالغلبة والتناحرالمذهبي)، وبالأخوة الإسلامية (لا بالتعالي القومي والعنصري)، وبالجهاد الإسلامي (لا بالعنف تجاه الآخر)، وهي ملتزمة بذلك إن شاء الله.

الإمام الخامنئي

١- معجم الأدباء ٩٢/١٩.